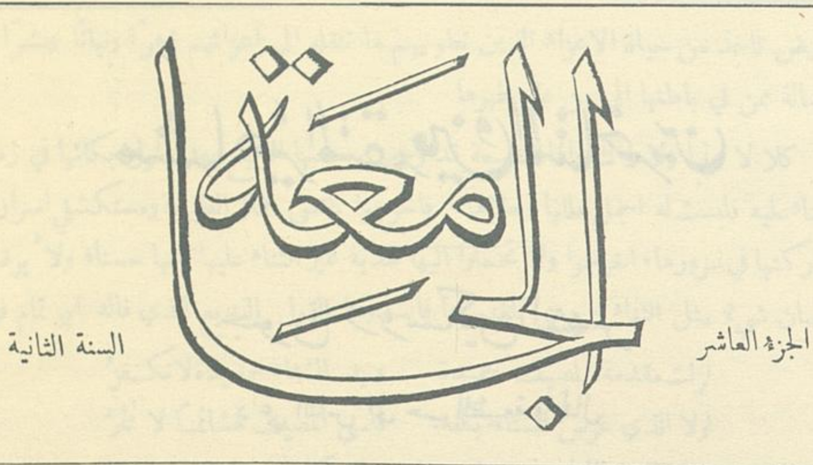


الجزء العاشر السنة الثانية

الاسكندرية (يناير ونصف فبراير) سنة ١٩٠١ — شعبان سنة ١٣١٨



جون روسكين الشهير

يتأمل في جمال الطبيعة وشؤون الحياة

انسان لا يجب أن يجهله انسان

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

جون روسكين الشهير

داعي الناس الى حب الطبيعة والجمال

اقتراح على رئيسات مدارس الاناث في الشرق

الخروج من جو المدينة المسموم · وصف ابي تمام الطائي للربيع · عادة الاحتفال بعودة الربيع · شم النسيم واستقبال الراهب · روسو ومدام دي ـنايل و بكاؤهما من منظر الطبيعة · ترجمة اشد الناس ولعاً بالطبيعة · اصلاح الفنون باصلاح الهيئة الاجتماعية · اصلاح الهيئة الاجتماعية بالغاء استعمال الآلات البخارية · ملكات مايو وفوائد هذه العادة · تلميذات يبشرن بانجيل جديد · وظيفة المراة في مذهب روسكين · موته بين الازهار · اقتراح على مدارس البنات بجدر الاهتمام به · ملائكة السماء تطلّ على ملائكة الارض

﴿ نشيد استقبال للربيع ﴾

مالك لا تخرج من جو مدينتك الذي افسده الدخان والغبار و روائح الاقذار · اما رأيت الحلة الجميلة التي اكتستها الضواحي بحقولها وحدائقها · اما سمعت عصافيرها تناديك وشمسها تنثر في طريقك تبرها الذهبي · فما هذا الكسل والخمول · اخرج وشاهد عظمة الطبيعة امك وانفض عنك ولو مرة في اليوم غبار الحضر واقذار المدن · ولا تكن ممن يغمضون عيونهم عن جمال الطبيعة لانهم لا يفهمون شيئاً من اسرار الحياة · انظر اليها فقد اكتست ارضها بساطاً سندسياً · والحقول والجنائن حلة زهرية · والعصافير اشتدت زقزقتها وخفت حركتها · والاشجار الصلعاء الجرداء دبت فيها الحياة فاخرجت براعيمها · والشمس زاد نورها · والسماء صفا اديمها · وروح حرارة وحياة جديدة انبث في جميع مخلوقاتها من نبات وحيوان وانسان

ولكن ما الذي غير وجه الطبيعة هذا التغيير بعد ما كانت فيه من اكفهرار الشتاء وهياج العناصر · هل ان يداً سرية مدّت اليها عصاً سحرية فبدلت حالها وغيرتها · ام ان

الارض تاخذ من حياة الاعزاء الذين تطويهم ما تنقله الى اعزائهم زهرًا ونباتًا ونشرًا . كرسالة ممن في باطنها الى من على ظهرها

كلا لا هذا ولا ذاك وانما الطبيعة قد وجدت حبيبها الربيع بعد طول بكائها في زمن الشتاء عليه فلبست له اجمل حللها وحلاها . فاخرجوا يا محبي جمال الطبيعة ومستكشفي اسرارها لمشاركتها في سرورها . اخرجوا ولا تحملوا اليها هدية غير الثناء عليها فانها حسناء ولا يرضي الحسان شيء مثل الثناء . ومتى بلغتموها فانشدوها القول البديع الذي قاله ابو تمام فيها

رقت حواشي الدهر فهي تمرمرُ	وغدا الثرى في حليه يتكسرُ
نزلت مقدمة المصيف حميدة	ويد الشتاء جديدة لاتكفرُ
لولا الذي غرس الشتاء بكفه	قاسى المصيف هشائمًا لا تثمرُ
مطر يذوب الصحو منه وبعده	مطر يكاد من الغضارة يقطرُ
غيثان فالانواء غيث ظاهر	لك وجهه والصحو غيث مضمرُ
وندى اذا ادهنت به لمم الثرى	خلت السحاب اتاه وهو معذرُ
ما كانت الايام تسلب بهجة	لو ان حسن الروض كان يعمرُ
اولا ترى الاشياء ان هي غيرت	سمجت وحسن الارض حين تغيرُ
يا صاحبيّ تقصيا نظريكما	تريا وجوه الارض كيف تصورُ
تريا نهارًا مشمسًا قد شابه	زهر الربى فكانما هو مقمرُ
دنيا معاش للورى حتى اذا	حلّ الربيع فانما هي منظرُ
اضحت تصوغ بطونها لظهورها	نورًا تكاد له القلوب تنوّرُ
من كل زاهرة ترقرق للندى	فكانها عين اليك تحدّرُ
تبدو ويحجبها الجميم كانها	عذراء تبدو تارة وتخفرُ
مصفرّة محمرة فكانها	عصب تيمن في الوغى وتمضرُ
من فاقع غض النبات كانه	درر تشقق قبل ثم تزعفرُ
او ساطع في حمرة فكانما	يدنو اليه من الهواء معصفرُ
صنع الذي لولا بدائع لطفه	ما عاد اصفر بعد اذ هو اخضرُ

عادة الاحتفال بالربيع

وبعد فان خروج الناس في كل سنة مرة الى البرية لمشاهدة الطبيعة ومحاسنها والاحتفال بعودة الربيع اليها امر كان معروفًا لدى الاقدمين . وقد اختاروا اول شهر مايو (ايار) لاقامة هذا الاحتفال فيه سواء كان الربيع متقدمًا او متأخرًا . فكان

الرومانيون في كل عام يخرجون من رومه في منتصف ليل هذا اليوم قاصدين الحقول والاحراش وامامهم الموسيقى تصدح والابواق تنفخ فيقطعون بعض اغصان الاشجار ويجمعون الازهار ويصنعون منها اكاليل وطاقات ثم يعودون بها ويعلقونها على ابواب منازلهم كانهم بذلك يمهدون للربيع طريق الدخول اليها · ثم يصرفون باقي نهارهم بالرقص والغناء حول اشجار زاهرة يغرسونها في الارض ويسمونها " شجرة مايو "

ثم انتقلت هذه العادة الى انكلترا فان ملكها هنري الثامن والملكة كاترين زوجته وجميع رجال البلاط الانكليزي في جملتهم الكردينال الرجل الجدي الاخلاق كانوا كلما عاد اول مايو يخرجون من المدينة الى الحقول للتفتيش عن الازهار الاولى التي هي اول ما ينبتها الربيع · وكان الشعب الانكليزي يحتفل بعودة الربيع في عدة اماكن بطرق مختلفة اهمها انهم كانوا ياتون بشجرة يسمونها " شجرة مايو " ويغرسونها في اول مايو امام منزل اجمل فتاة من بنات القرية ثم يقيمون على الرقص والغناء حولها مدة النهار ويسمون الجميلة التي غرسوا الشجرة امام منزلها " ملكة مايو " · وكثيرًا ما كانوا لا يكتفون بانتخاب ملكة للربيع بل ينتخبون له ملكاً ايضاً ويسمونه " لورد مايو "

وقد كان المصريون في الزمن القديم يحتفلون بعودة الربيع ولا يزال هذا الاحتفال معروفاً عندنا الى هذه الايام باسم " يوم شم النسيم " اي شم نسيم الربيع وهو يوم تصفر فيه مدن القطر المصري لخروج الناس من كل الطبقات والملل الى الخلاء لمشاهدة الطبيعة الجميلة والاكل والشرب تحت سقف السماء فوق البساط السندسي الذي فرشته اليد الازلية

وهذا الاحتفال معروف ايضاً في الشام ولكنهم يسمونه هناك " استقبال الراهب "·

قذارة المدن وطهارة الطبيعة

وليس غرضنا الآن ذكر تاريخ هذه العادة في كل البلاد فان هذا امر ثانوي وانما غرضنا الاشارة الى امر اكثر اهمية وخطارة · فانه من المعلوم ان التمدن الحديث يجعل هذه المدن الكبرى التي تتالف وتضخم تحت لوائه بمثابة مغناطيس يجتذب اليه جميع الناس الذين يعيشون في القرى والخلاء والضواحي ولذلك صار سكان القرى يتناقصون وسكان المدن يزيدون · وظاهر ايضاً ان كل ما في المدن من آثار المدنية والعمران يُنسي الانسان الطبيعة ومناظرها الجميلة · فهذه الاسوار والجدران قائمة سدًّا دونه · وهذه المنازل تحصره في بقعة ضيقة وتجعله كسجين في سجنه مانعة عنه نسيم الصبح ونور السماء · وهذا

الدخان المنبعث من معاملها والغبار المتصاعد على اثر مرور المركبات في شوارعها يحجبان عنه وجه السماء ويخفي ما وراء المدينة · وزد على ذلك ان زيادة الزحام في المدن يزيد المزاحمة على اسباب الرزق فيها فتشتد المناظرة بين الناس تنازعاً لها حتى قد تنسي هذه المناظرة الانسان كل شيء خارج مدينته بل قد تُنسيه انه انسان لا حيوان · من اجل ذلك كله وجب ان يقوم من بني الانسان الحين بعد الحين اناس يرفعون اصواتهم القوية لتذكير البشر بالطبيعة امهم الاولى وحثهم على الرجوع اليها ولو مرة في كل عام

وقد قام في آخر القرن الثامن عشر رجل في فرنسا يُدعى جان جاك روسو دعا الناس الى المعيشة في الطبيعة وترك اقذار المدن ورذائلها وجرائمها فكان فولتير يقول عنه متهكماً « ان هذا الرجل يحبب اليَّ المعيشة على القوائم الاربع » يعني كما تعيش الحيوانات ذات القوائم الاربع في البرية · وكان روسو اذا نظر الى الحقول والرياض وهو خارج المدينة يبكي سروراً بها وانقباضاً لما كانت تجده نفسه من الضغط المبهم عليها امام منظر عظيم سري كهذا المنظر · وكذلك كانت مدام دي ستايل فانها كم وقفت امام الحقول تنظر اليها وتبكي من غير علة ولا سبب غير اختباط مبهم سري يحدث في داخلها · ولكن الذي فاقها وفاق روسو في حب الطبيعة وشدة الولوع بها هو الكاتب برناردين دي سان بيير الذي اخذنا ننقل عنه سفره الجليل « الكوخ الهندي » وحسبنا دليلاً على مبلغ حب برناردين الفاضل للطبيعة ان نرد القارئ الى هذا السفر الذي تجب قراءته بامعان كثير

ولكن كل هولاء لم يؤثروا في تحبيب الطبيعة الى الناس وتذكيرهم بمحاسنها القدسية ازاء محاسن الحضارة الصناعية بقدر ما اثر في ذلك رجل انكليزي توفي في العام الماضي · وغرضنا من هذه المقالة ان نعرّف قراء اللغة العربية بهذا الرجل الذي لا يجب ان يجهله انسان

ترجمة جون روسكين

يُدعى هذا الرجل « جون روسكين » وقد ولد في ٦ فبراير من عام ١٨١٩ وكان ابوه تاجراً مولعاً بفن الرسم وخصوصاً رسم المناظر الطبيعية اما امه فكانت بروتستانتية شديدة التمسك بالدين فكانت تاخذه في كل يوم وتقرأ عليه فصلاً من التوراة وكان منزل روسكين في ضاحية لندرا بعيداً عن ضوضاء المدينة وهو محاط بحديقة فكان يقضي روسكين الصغير كل اوقاته في مشاهدة الازهار والنباتات فيها · وكان ابوه يقرأ عليه في صباه كثيراً من اقوال شعراء الانكليز ويصطحبه احياناً اذا سار للتنزه ورسم المناظر الطبيعية فشب جون

روسكين على حب الطبيعة والشغف بها

ثم ساح روسكين في فرنسا وسويسرا وايطاليا فشاهد مناظرها الطبيعية وما فيها من تحف الرسم والبناء وسائر الفنون الجميلة · ولما بلغ الرابعة والعشرين من العمر نشر كتاباً سماه « الرسامون الحديثون » وصف فيه الطبيعة اجمل وصف وانتقد الرسامين الذين يشوهون الامور الطبيعية في ما يرسمونه · ومنذ هذا الحين بدأت شهرته فكتب عدة كتب في الموضوع نفسه فاقام الرسامين واقعدهم بشدة انتقاده وطول باعه و بث في نفوس الناس ميلاً جديداً الى الفنون بعد ان كان هذا الميل قريباً من الخمود

وفي سنة ١٨٦٠ حدث تغيير في افكار روسكين فاعتقد بان اصلاح شان الفنون متوقف على اصلاح الهيئة الاجتماعية فانصرف الى هذا الشان الاجتماعي بهمة عالية واخذ يكتب فيه الكتب الضافية التي كان لكل واحد منها تاثير شديد

وقد عين في سنة ١٨٦٩ استاذاً لكلية اوكسفورد فاقام يدرس فيها حتى سنة ١٨٨٢ ثم راى ان التدريس في اوكسفورد غير كاف لنشر آرائه والقيام بالاصلاح الذي كان يطلبه فانشأ في سنة ١٨٧٢ متحفاً للطلبة في هذه الكلية رغبة في تحسين اذواقهم وانشأ في سنة ١٨٧٦ متحفاً آخر في شيفيلد لترقية شان عملة الحديد هناك ورفع نفوسهم · وكان يملك ثروة طائلة قيمتها ٥ ملايين فرنك فانفقها كلها في اعمال خيرية رفع بها شان الذين كان يساعدهم · فانه كان يختار النابغين في الفنون و يساعدهم على الدرس والارتقاء فيجعلهم بذلك رجالاً من اشد الناس نفعاً لوطنهم وينشىء للعملة والضعفاء المتاحف والملاجئ والمنازل الصحية الصالحة للسكنى · ولما نفدت ثروته في هذا السبيل لم يبقَ له مورد غير دخل مؤلفاته الذي كان يبلغ مائة الف فرنك في كل عام فصار روسكين ينفقه في سبيل الخير ايضاً · فاعجب بهذا السخاء وهذه الشهامة

ثم انه من فرط اهتمامه بالاصلاح الاجتماعي لم يكتفِ بالمتاحف والتدريس والتاليف والكتابة بل اراد ان ينفرد بعمل عظيم يُنفذ فيه الاصلاح الذي كان يدعو اليه · وهذا البحث يسوقنا الى الكلام على مبادئه وآرائه

مبادئه وارائه

يتضح مما تقدم ان روسكين اهتم بامرين عظيمين (الاول) اصلاح الفنون الجميلة وتحبيبها الى الناس ومنع العاملين بها من افساد صور الطبيعة حين تقليدهم اياها (والثاني) اصلاح الهيئة الاجتماعية

اما الامر الاول فمن مبادىء روسكين فيه قوله « كل فن عظيم ضرب من ضروب العبادة لان الانسان لا يبلغ هذا الفن الا بعد ان يفهم الطبيعة ويحبها . والطبيعة من صنع الله فمن يحبها يحب عمل الله » ومن اقواله ايضاً « ان كل جمال مصدره حب الطبيعة العذراء كما صنعها الله اي بجبالها وانهارها وبحارها ونجومها ونباتاتها وازهارها لا الطبيعة التي شوهها الانسان بصنائعه واختراعاته » وقد انتقد روسكين رسوم ميشل انج الشهير ورمبوان و بليني و برنين لانهم كلهم مع شهرتهم التي طبقت الخافقين خرجوا عن الطبيعة في رسومهم . ولا نطيل الكلام في هذا الموضوع خوفاً من ملل القارىء

اما الامر الثاني وهو الاصلاح الاجتماعي فقد بحث روسكين فيه فوجد ان لفساد الاخلاق في العالم والشقاء السائد في كل مكان منشأ واحداً وهو : استبداد ارباب الاموال بالشعب وتمكنهم بواسطة المعامل والآلات الميكانيكية من حفظ هذا الاستبداد . ولذلك نهض لمقاومة هذا الاستبداد نهضة الاسد من عرينه . وقد قال في وصف الهيئة الاجتماعية هذه الكلمة التي تُغني عن كتاب « ان هيئتنا الآن عبارة عن سلطة موضوعة في يد الذين يربحون الاموال ليزدادوا بها ربحاً من الذين لا يملكون شيئاً » قال . وهذا سبب فقر العملة وشقائهم وغنى الاغنياء وثروتهم . وفضلاً عن ذلك فان الثروة الطائلة لا تنشىء الشقاء في نفوس الفقراء فقط بل انها تنشئه في نفوس الاغنياء انفسهم لانها تطفىء فيهم مصباح حب الجمال الطبيعي وتجعل نفوسهم قاسية جاهلة مظلمة معذبة لا تهتم الا بالشهوات والملاذ

ورغبة في اطلاق العملة من اسر ارباب الاموال عزم روسكين على ان يؤلف من ابناء الشعب شركات تعمل بلا آلات بخارية لكي لا تحتاج الى الاغنياء فانشأ لهذا الغرض « شركة سنت جورج كيلد » وجعل العملة في وستمورلند ولنغدل وكسويك يعودون الى عادة الغزل والنسج بالايدي دون آله بخارية . ولكن روسكين لم يلبث ان راى تعذر النجاح اذا لم تساعد الحكومة الشركات التي انشأها فطلب من الحكومة ان تساعدها وقد قال في طلبه ان حرية الصناعة والتجارة لا تصح ان تكون دواء للفساد الحاضر وانما الدواء الوحيد هو خضوع الجميع للحكومة : الاغنياء والفقراء . ومن واجبات الحكومة ان تدبر اعمالاً لجميع الذين يطلبون العمل وذلك يتم بمنعها « حرية صنع الشر » اي منعها احتكار الاغنياء ثروات طائلة لاستعباد العملة بها وتوليها تشغيل العملة بنفسها

غير ان الحكومة سدت اذنيها ولم تسمع لروسكين واتفق حزبا الاحرار والمحافظين

عليه لان كلا الحزبين يؤيدان حرية الملك والمال · فاثار هذا الاهمال خاطر روسكين فازداد حدة وانتقاداً لارباب الاموال ولاعمالهم حتى عراه من شدة هياجه مرض دماغي في سنة ١٨٨٩ فقضى عليه طبيبه بترك كل اهتمام وكل عمل عقلي فامتثل روسكين وسار فقضى باقي حياته في منزل له على شاطىء بحيرة كونيستون تجاه جبال ايكوسه في وسط الطبيعة العذراء التي احبها في شبابه وجعلها ملجأه الاخير في شيخوخته

ومما يؤثر عنه انه من فرط كراهته لارباب الاموال خشي ان يضغط هؤلاء على ناشري كتبه قبل مماته او بعده فانشأ مكتبة خصوصية في بلدة سونيسيد لنشر كتبه لتكون خارجة عن دائرة نفوذهم · وقد بعثنا نطلب بعض هذه الكتب وربما لخصنا بعضها للقراء كما لخصنا كتاب الفيلسوف تولستوي في الجزء السابق

﴿ ملكات مايو ﴾

والتبشير بانجيل جديد

ولكن روسكين لم يكتفِ بالمتاحف والخطب والكتب والشركات الصناعية اليدوية المستقلة لاصلاح الهيئة الاجتماعية وبث حب الفنون والجمال في النفوس بل ارتقى في آخر ايامه الى مصدر كل اصلاح نعني المراة واخذ يعمل على بث روح جديدة فيها · فانشأ الحفلات المعروفة بالحفلات الروسكينية وهي عبارة عن اعادة الاحتفال في اول شهر مايو من كل عام بعودة الربيع

وقد علّم في سنة ١٨٨٠ تلميذات مدرسة ويتلندس القائمة في مدينة شيلزه طريقة لهذا الاحتفال اعاد بها العادة الرومانية القديمة فاقبل التلميذات عليها اقبالاً شديداً لشدة تاثيرها في نفوسهن واليك بيان هذه الطريقة

تضم مدرس ويتلندس المذكورة آنفاً ١٦٠ تلميذة وجميعهن يتلقين الدروس فيها ليصرن معلمات في المستقبل · فاذا مررت في اول مايو من كل عام امام باب هذه المدرسة وجدت فناءها ودهاليزها وارض غرفها مفروشة كلها بالازهار والاغصان لان التلميذات يعيدن في هذا اليوم عيد عودة الربيع · ولذلك ترسل تلميذات المدرسة اللواتي انهين دروسهن فيها من جميع اقطار الامبراطورية الانكليزية اكاليل زهر في ذلك اليوم اشتراكاً مع رفيقاتهن المعيدات · واذا دنوت من قاعات المدرسة سمعت ترنيم البنات فيها من كل جانب بنشيد هذا مطلعه « كل شيء حولنا لامع وبهيج » وفي الحقيقة ان كل شيء في ذلك اليوم يدل على العيد في هذه المدرسة



﴿ ملكة مايو ﴾

وحولها حاشيتها من الفتيات المنتخبات بنات شرف لها

وفي صباح اول مايو تجتمع التلميذات بهدوء وسرور لانتخاب ملكتهن السنوية . ذلك ان طريقة روكسين تقضي عليهن بانتخاب ملكة من الطالبات تسمى ملكة مايو وهي تنتخب من البنات الاكثر جمالاً والاوفر عقلاً وادباً . ويكون الانتخاب سرياً . فمتى تم تذهب جميع التلميذات الى الكنيسة وفي مقدمتهن الابنة التي انتخبت « ملكة لمايو » في العام الماضي وهي تحمل بيدها صولجان السلطة وهو من الزهر وتكون محاطة في سيرها ببنات انتخبن ليكن بنات شرف لها كما ان للملكات نساء شرف . وحين وصولهن الى الكنيسة تقام صلاة مخصوصة بهذا العيد ولا ياتي القس على آخر الصلاة وتسكت اصوات الترنيم حتى تخفق قلوب جميع الطالبات تشوقاً لمعرفة الابنة التي اصابها الانتخاب . فتقف الابنة التي كانت ملكة في العام الماضي وتتلو خطاباً صغيراً تشكر فيه (رعيتها) على خضوعهن وحسن سلوكهن فتتقدم حينئذ احدى بنات الشرف وترفع عن راسها اكليل الملك الذي يكون زهره زاوياً ذابلاً لانه صُنع لها في العام الماضي . ثم تضع فتاة اخرى في يدها ازهاراً من الزهرة التي تسمى (لا تنسني) رمزاً الى وجوب ذكرها سنتها الماضية . وبعد ذلك تعلن نتيجة الانتخاب السري وينادى باسم الملكة الجديدة للسنة القادمة . فحدث ولا حرج حينئذ عن تاثر تلك الفتاة التي يصيبها الانتخاب وعلى ابتهاج رفيقاتها بها

ومتى نودي بالملكة الجديدة يُدفع اليها صولجان السلطة وهو قضيب من الزهر فتقف على دكة عالية وتمرُّ حينئذ امامها جميع رفيقاتها اللواتي اصبحن (رعية) لها لتوزع عليهن جوائز سنية . وهذه الجوائز يهديها روسكين الى المدرسة في كل عام وهي نسخ كثيرة من كتبه الادبية تفرقها الملكة على رعاياها . وهي توزعها بلا قيد ولا شرط لانها ملكة تعطي منها ما تشاء لمن تشاء . فتعطي ماري جائزة لانها مخلصة في صداقتها وليا اخرى لانها تضحك كثيرًا ولا تضجر واولغا لانها تحب الموسيقى وكارولين لان الملكة تحبها كثيرًا . فتصور جمال هذا المنظر وبهجته

والحكمة في ذلك لا تخفى على القارئ . فان في هذه العادة الحميدة فائدتين عظيمتين الاولى التزام كل طالبة من الطالبات جادة الاجتهاد والادب وحسن السلوك ورضى المعلمات لتشتهر بهذه الفضائل وترشح نفسها بها لوظيفة الملكة . ولا ريب ان هذا الامل يفعل في النفوس ما لا يفعله وعظ ولا زجر . وبناءً عليه تكون هذه العادة من خير وسائل التهذيب والتثقيف . هذا بصرف النظر عما تبثه في نفوس الطالبات من حب الجمال والاشيا الطبيعية

اما الفائدة الثانية فهي موجودة في الكتب التي تعطيها الملكة الى رعيتها . فان روسكين قد كتب هذه الكتب للطالبات دون سواهن وهذه بعض اسمائها : (السمسم والزنبقة) (اكليل الزيتون البري) وما اشبه . واليك المبادئ الادبية السامية التي فيها

« اذا اردتِ صنع حلة لكِ (فسطان) على يد خياطة ماهرة فاصنعيه على يد خياطة فقيرة فان ذلك خير من صنعه في احسن معامل لندرا »

« عودي نفسك على ان تشتغلي كل يوم بالابرة في وقت معين واصنعي في هذا الوقت بعض ملابس للفقراء المساكين الذين ليس لهم لباس او لا يحسنون صنع لباس على شكل جميل »

« لا تتعمدي المسرات واسباب التسلية وانما اذا عرضت لك فلا تعرضي عنها . واياك ان تجعلي التسلي غرضك في هذه الحياة فانك اذا فعلت ذلك صار من الصعب عليك ان تجدي في العالم شيئًا يسرك سرورًا طاهرًا »

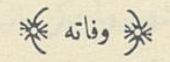
« البسي الثياب التي يريد اهلك الباسك اياها . ولا تقيمي بلا عمل البتة فاذا لم يكن لديك عمل فاغسلي آنيتك ونظفي الاشياء التي تستخدمينها في المنزل »

« ساعدي رفيقاتك واخدمي الفقراء ولكن اياك ان تعظيهم فانه ربما كان فيهم من هو اكثر فضلاً وتديناً منك . وصادقي بعضاً منهم وشاركيهم في عواطفهم واذا كان بعضهم يخجل من رؤيتك فلا تمري في طريقه . واما الاحسان اليهم فهو من شان الذين هم اكبر سناً منك واكثر معرفة »

هذا فيما يختص بالفتيات واما النساء فان روسكين يطلب منهن في هذه الكتب ان « لا يخرجن من منازلهن كما ان الملكات لا تخرج من ممالكهن . بل ان يصرفن عمرهن في المنزل في العمل والعناية . فيكنَّ في الصباح نشيطات عاملات وفي المساء متعبات مستريحات . وتكون حياتهن محصورة في هذه الكلمات الثلاث : العمل المحبة التحسين

وهو يطلب منهن ان يكن في منازلهن خادمات في الظاهر ولكن ملكات في الباطن وان لا ينتظرن حكم الناس على ما يدعنه ولكن حكم الذين يعيشون معهن في المنزل . ويجب ان يكنَّ قادرات في المنزل كارد لا يصعب عليه شيء . صامتات كالمصباح الذي يتقد وهو ساكت . وان يصلحن الطعام ويتعلمن الخياطة والتمريض ومسك الحسابات . ويعتنين بزينتهن ولكن قليلاً . ولا يدخلن في المناقشات التي تحدث على مسمع منهن

هذه بعض المبادئ التي تطالعها قارئات كتب روسكين المنشورة في اميركا وانكلترا الوفاً ومئات الوف . ويكفي للدلالة على شدة تاثيرها ان نقول ان الناس في البلاد الانكليزية والاميركية قد الفوا جمعيات لمطالعة هذه الكتب وقد انشأ الاميركيون مدينة جديدة سموها (روسكين) اعجاباً بمؤلفها واكراماً له . اما طالبات مدرسة ويتلندس التي يحتفل فيها كل عام بعيد ملكة مايو فانهن يخرجن من هذه المدرسة بعد انهاء دروسهن فيها ويذهبن للتعليم في المستعمرات الانكليزية وينشرن فيها عادة روسكين وكتبه وبذلك ينشرن بين الناس حب الطبيعة والخير والجمال . فكانهن رسل تبشر في اقطار العالم بانجيل جديد



وفاته

وادخال عادته الى الشرق

وقد توفي روسكين في ٢٠ يناير من عام ١٩٠٠ في منزله في برنتوود وهو في السنة الثانية والثمانين من العمر . فما ذاع خبر وفاته حتى غص منزله بالازهار المرسلة اليه

من جميع اقطار الامبراطورية الانكليزية من السوقة والامراء والكاثوليك والبروتستانت والفلاسفة والعلماء حتى من الملكة فكتوريا نفسها . ذلك لانهم كلهم ارادوا اكرام هذا الرجل الذي كان يسعى لاصلاح العالم بواسطة ما سماه الكتاب « ديانة الجمال » وقد اجمعوا هذا الاجماع على اكرامه مع اختلاف مبادئهم لاخلاصه في دعوته وشرف العيش الذي عاشه في حياته . فمات روسكين بين الازهار كما عاش بينها وخلف له في هذا العالم صيتاً طيباً مثلها

وقد عمل في حياته اعمالاً جليلة كما تقدم ومن اهم هذه الاعمال احياء عادة « ملكة مايو » والاحتفال بالربيع . فماذا يضرُّ مدارس البنات الشرقية ان تقتبس هذه العادة الحميدة التي تقدم تفصيلها وذكر فوائدها . فانه ليس كثيراً على الشرقيين ان يقتبسوا بعض عادات الغربيين الحميدة بازاء العادات القبيحة الكثيرة التي يأخذونها عنهم . فنوجه من كل قوانا انظار رئيسات مدارس الاناث الى هذا الامر المفيد

راح الشتاء وجاء الربيع . فتح الورد الاحمر . وامتد العشب الاخضر . صنع الخالق البديع

راح الشتاء وغداً يجيء شهر مايو . فلتلبس بنات المدارس في اوله حللهن البيضاء ولتجتمعن كاسراب الحمام فوق بساط الطبيعة الخضراء لينتخبن للمرة الاولى تحت سماء الشرق افضلهن واجملهن و ينادين بها (ملكة مايو) على اصوات النشيد البهيج الذي مطلعه (كل شيء حولنا جميل بهيج) فحينئذٍ تطلُّ الملائكه من السماء لتشاهد هذا الاحتفال وتزداد الطبيعة ابتساماً لهؤلاء العذارى اللواتي يحتفلن برجوع الربيع خطيبها . ولا تكتفي بالابتسام لهن بل تدعو لهن ايضاً بخطَّاب (على خواطرهن) ليكمل سرورهن كما كمل سرورها . . .

باب المقالات

فشودة وروايتها

نظماً ونثراً

نُشر في فرنسا في الشهر الماضي كتاب بشان فشوده والبعثة الفرنسوية العسكرية التي سارت من الحبشة لملاقاة مرشان فيها . وقد قال مؤلف هذا الكتاب الذي هو احد رجال البعثة المشار اليها ان سبب فشل فرنسا يومئذٍ هو عجز هذه البعثة عن الوصول الى فشوده . وسبب عجز البعثة هو وكيل فرنسا السياسي في الحبشة . فاعاد هذا الكلام ذكر رواية فشوده

وجميع القراء يعرفون تفاصيل هذه الرواية فلا حاجة للعودة اليها . وانما نورد بايجازٍ رأي مؤلف هذا الكتاب . فقد قال انه قبل خروجه بالبعثة من الحبشة قاصداً فشوده لملاقاة مرشان اشار عليهم امبراطور الحبشة ان يجتنبوا مستنقعاً في اعالي صوبات يستحيل عبوره من غير زوارق . ولكنهم ما اوشكوا ان يخرجوا من اديس ابابا حتى وردهم امر من وكيل فرنسا في الحبشة بالمسير في ذات الجهة التي نصحهم الامبراطور بان لا يسيروا فيها فاضطروا الى الامتثال وساروا حتى بلغوا النيل وصاروا على مسافة ٤٠ ميلاً من فشوده من جهة بلاد الحبشة . ولكنهم وقفوا هناك للمستنقع الواسع الذي اعترضهم . فارادوا التحول عنه فوجدوا في اطرافه ادغالاً هائلة يغيب فيها جيش اذا نزل اليها فتناولوا ما لديهم من السلاح والمعاول واخذوا يقطعون تلك الادغال ليفتحوا لهم طريقاً فيها فكانوا يتقدمون بهذه الطريقة بضعة اذرع في اليوم على الكثير . ثم ما لبثت ان انتشرت الحميات بينهم لضعف اجسامهم من شدة التعب وحر النهار فتوفي بعضهم فاضطر الباقون للعودة خائبين . وكان ذلك قبل فتح ام درمان بستة شهور ولم يكن باقياً بينهم وبين فشوده سوى اقل من اربعين ميلاً

قال مؤلف هذا الكتاب . فلو تمكنا من اجتياز تلك الصعاب لوصلنا الى فشوده قبل وصول السردار الى ام درمان بستة اشهر وذلك كافٍ في رايه لتغيير وجه المسالة . فان

قواد الجنود المصرية والانكليزية الزاحفة الى السودان لم يكونوا حينئذ على ثقة من مستقبل الحملة بدليل الفرح العظيم الذي احدثه في لندرا انتصارهم على الدراويش فلو احتلت فرنسا فشوده قبل هذا الانتصار ببضعة شهور لما قابلتها انكلترا بالحدة التي قابلتها بها بل لما جاز لها ان تقابلها بها لان فشوده كانت تابعة للدراويش لا لمصر

هذه خلاصة الكتاب . ولكن هذا القول مردود من جملة وجوه . اهمها ان انكلترا كانت تعتبر كل الاراضي التي في اعالي النيل تابعة لمصر وان كانت في قبضة الدراويش وذلك لاعتبارها ان الدراويش انفسهم تابعون لمصر وانما تخلت عنهم مصر الى اجل مسمى . واما الاسباب الحقيقية التي اضطرت فرنسا الى الخروج من فشوده نحنية الراس مع كبريائها وعزتها فهذه اهمها

(١) ضعف الراي العام في مصر وعدم مداخلته لابلاغ الفريقين ان مصر ليست ملكاً لهؤلاء ولا فشوده ملكاً لاولئك بل هما ملك للامة

(٢) عدم اغتنام الدولة العلية العثمانية صاحبة السيادة تلك الفرصة لفتح المسألة المصرية

(٣) عدم استعداد العمارة الفرنسوية لان اكثر سفنها كانت يومئذ مجردة من اسلحتها في الموانئ والعملة يعملون في تنظيفها واصلاحها

(٤) ضعف فرنسا في البحر وقوة انكلترا فيه فالحرب بينهما لا تخلو من خطر عظيم على فرنسا وليس من الحكمة ان تتعرض فرنسا لهذا الخطر من اجل غيرها وطالباً لامر صغير كامر فشوده

(٥) اذخار قوتها لاسترداد الالزاس واللورين

هذه اهم الاسباب التي دعت الى فشل فرنسا في الرواية الفشودية لاما ذكره صاحب الكتاب . وقد نظم " شاعر النيل " هذه الرواية ملتزماً فيها جانب الهزل والجد فراينا نشرها على سبيل الفكاهة . ولم نسمِّ الناظم لان لقب (شاعر النيل) ينمُّ عليه . وهذه هي الرواية الشعرية

تمهيد

فشودة روايه للبصرين آيه	بل شهد التمثيلا ثم انثنى بخيلا
قد مُثلت في العصر ليهتدي في مصر	مولي الاكتاف في ساعة الاسعاف
فما اهتدى ولا عقل ولا درى كنه الحيل	فلا تلم فرنسا وفضلها لا تنسا
	وقل لمن رام السبب شقاء مصر قد غلب

الفصل الاول

مرشان في فشوده

مرشان بالنيل النقي   من بعد ما عز اللقا
تقابلا في سلم   على الصفا الاتم
حيث المياه تجري   نهرًا بجنب نهر
والارض بكر لم تزل   كدحاها في الازل
تُخرج اصناف الثمر   تنبت اجناس الزهر
تفيض بالماكول   من عدس وفول
ترابها التبر السني   وكم بها من معدن
وغرسها ابن يومه   " لمرشن " وقومه
فهي كما الجنات   ما غير خذ وهات
مرشان فيها قد ثبت   كانه عود نبت
يلين للعواصف   فما له من قاصف
اخرجه دلكاسي   العوبة للناس
العوبة وتنقضي   قدخاب فيهامن رضي
وكيف كان العاقبه   فان مصر الخائبه
اذ لم يكن لبطرس   من طاقة بدلكسي
ولا له من بوري   يسمع سالسبوري
ولا له من امه   تنجده في الغمة
ولا له من دوله   تمده بالصوله

الفصل الثاني

مرشان والنيل

النيل كان نائما   رأى « المجبور » قائما
يضربه في راسه   يحسبه في رمسه
خاطبه يانيل   يا ايها القتيل
يا تارك البلاد   لأفسد الاولاد
ياضائع الميراث   والصبية الاحداث
ذُبحت بالسكين   من ظالم مهين
وكان اهلك المدى   والحبل كانوا واليدا
فما صرخت صرخه   بل قد ذهبت فرخه
قد سقطت في زير   او وقعت في البير
فلا تلمني بعد ذا   اذا تعمدت الاذى
اني انا المحامي   عنك لدى الانام
لا بد لي من حصه   قبل ضياع الفرصه
اذ قد غدا في النيه   ان تحفظ القضيه
فهب داعي النيل   من نومه الطويل
يقول يا مرشان   يا ايها الشيطان
يا اسد القفار   يا حية البراري
يا سمكًا عوامًا   يا طائرًا حوامًا
يا لبكة العجين   يا بلة في طين
يا ضجة الطبول   على طريق الغول
يا خارجًا من علبه   يا حادثًا من لعبه
يا مشكلا لما نزل   ومشكلين ان رحل
وان اردت جدي   فانت خير عندي
من كل ذي قلب بطل   لجنة الارض وصل
ما كانت الشهور   يكفي لها طابور
ولا الحمام الازرق   يعصم منه زورق
ولا الاسود السود   يصدها بارود
ولا مجاهل الثرى   تطوى كما تطوي القرى
سلكتها ياغازي   اية المجاز
حتى ملكت مجرى   بحر الغزال طرا
تبيعه وتشتري   براية وعسكري
لكن تعال قل لي   ولا تكن مضلي
من ذا اباحك الحمى   من ذا حباك المغنما

من ذا لهذ جرّا   من ذا عليه جرّا

بحر الغزال مني   كيف يزول عني

وهذه فشوده   ربيبتي المعهوده

كيف اساء فيها   وكيف تقتنيها

فاندفع الماجور   بسحره يدور

وقال قولاً مقنعا   اثبت فيه ما ادعى

ياسيد الانهار   وملك الديار

ماذا يهمك السقط   من بعد ما الراس سقط

الفصل الثالث

سالسبوري ومصر

وجاء سالسبوري   لمصر في سرور

يقول وهي تستمع   يقنعها فتقتنع

يامصر يافتاتي   يازينة البنات

يامشتهى انكلترا   يابنت اخت اندره

يامنية التاميز   والوطن العزيز

بل يا اتان الملكة   يا الف الف سكه

ياناقة السردار   وجيشه الجرار

ياأصل مافدا اكتسب   من ثروة ومن تعب

يابلداً ما فيه   ذو ناظر يبكيه

يا امة ولا وطن   يامنزلاً لمن سكن

ياموطيء الاقدام   يافتنة الاقوام

اني ارى النشالا   يختلس الخلخالا

هيا نصيح السارقا   ونشهد الخلائقا

وبطرس والوزارا   يحررون القمطرا

ويثبتون فيه   تهمة سارقيه

وبعد عرض الشكوى   نقيم نحن الدعوى

ونظهر النصوصا   ونطرد اللصوصا

اولا فقد خاب الامل   ولا سبيل للعمل

فما اتمّ قوله   ان ضحكت مصر له

واقبلت تقول   يا ايها المامول

الوزرا عبيدكا   والكل من جنودكا

فاقض بما تشاء   لا ينقض القضاء

رقصة الختام

اليكم عن بطرس (١)   نادرة في المجالس

اذ قالت النظار   يا من له الفخار

نرى المجال صعبا   ذئب يعض ذئبا

فهات حدث عنه   كيف خرجت منه

فقام فيهم ناصحاً   يقول قولاً راجحاً

فشودة تعيشوا   مثل اسمها فشوش

ما الخلف والتجافي   الا على اللحاف

دفعته للورد   وبتُّ تحت جلدي

---

(١) ان حضرات النظار الكرام لا يستحقون هذا التهكم والمزاح لانهم في حادثة فشودة عملوا ما تعمله كل وزارة مصرية مسئولة . ولو كان في امكانهم ان يعملوا احسن منه لما قعدوا عنه ولكن عذر الشاعر انه يجوز له ما لا يجوز لسواه

اين نجد الحقيقة وكيف نجدها

الكوخ الهندي

سفر من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير وقد كان نابوليون الاول شديد الاعجاب به حتى انه كان كلما لقي برناردين مولفه يقول له « متى تكتب لنا كوخاً هندياً ثانياً » اما موضوع هذا السفر فهو البحث عن الحقيقة وتقرير ماهيتها والطريق اليها فان كل طائفة من البشر تدعي انها اكثر معرفه بها من سواها وتصورها كما يزينها لها هواها . ويتخلل ذلك كلام فلسفي عن البراهمة الذين هم اكليروس الهنود وعن رئيسهم واخلاق الهنود ووصف شؤونهم واكتشاف الحقيقة في الهند مهد الفلسفة والحكمة . وكل هذا في قالب قصة لطيفة

(تابع لما قبله)

٤

ولما دخل الدكتور الانكليزي الى قاعة البراهمة مكشوف الراس عاري القدمين والجسم لا يستره الا غطاء قطني اخذ يتامل في المكان فوجد انه قاعة متسعة سماؤُها قائمة على اعمدة ضخمة من خشب الصندل وارضها مفروشة ببسط دقيقة طول الواحد منها سبعة اقدام في سبعة عرضاً . وكان في صدر القاعة دكة عالية محاطة بدرابزون من خشب الابنوس وفوق الدكة راس البراهمة الجليل بلحية بيضاء وثلاثة خيوط قطنية حسب عادة البراهمة . وكان جالساً على بساط اصفر اللون وهو جامد كالصنم لا يتحرك منه عضو حتى عينيه وحوله تلامذته بعضهم يطرد الذباب عنه بمذبات مصنوعة من اذناب الطاووس وبعضهم يحرق عود الند في مجامر من الفضة واليافوت والبعض يضربون على السنطير انغاماً شجية . وكان حول دكة الرئيس صفوف من الزهاد والعلماء والدراويش في جملتهم بعض تلامذته وكلهم باذرع مطوية على صدورهم مطرقون الى الارض هيبةً واجلالاً

فهمَّ الدكتور بان يتقدم الى دكة راس البراهمة قياماً بواجب التحيـة والسلام فمنعه البرهمي من ذلك واوقفه عند البساط التاسع اذ لا يجوز لاكابر الهنود ان يتجاوزوا هذا الحد . اما الحكام فانهم يصلون الى البساط السادس والامراء ابناء الملك الى البساط الثالث . وليس لاحد شرف الوصول الى راس البراهمة لتقبيل قدميه تبركاً بذلك غير ملك الهند وحده

فما احمق الانسان واجهله · من يصدق ان البشر الذين ُخلقوا على صورة الله ومثاله يصل بعضهم الى هذا الترفع والتجبر و بعضهم الى هذا الخوف والدناءة

وكان الدكتور قد امر رجاله بان يضعوا عند مدخل القاعة الهدايا التي جاء بها الى رئيس البراهمة فاخذها البراهمة الى رئيسهم فالقى عليها الرئيس نظرة لا تدل على استحسان ولا استهجان ثم نقلوها الى داخل القصر

اما الدكتور فانه لما وقف عند البساط التاسع اراد ان يستهل كلامه بخطبة انيقة باللغة الهندية لانه كان يعرفها فاشار اليه البرهمي بالصمت حتى يخاطبه راس البراهمة فصمت وجلس منضجرًا من كل هذه الترتيبات المتعبة · ولكنه قال في نفسه « يهون عليَّ كل تعب في سبيل الحقيقة والبحث عنها »

ولما جلس الدكتور سكتت اصوات الموسيقى وساد في القاعة سكوت تام فسأل حينئذٍ راس البراهمة الدكتور هذا السؤال « ما جاء بك الى الهند » · غير ان الرئيس لم يخاطب الدكتور مباشرة بل القى هذا السؤال الى درويش وهذا الدرويش القاه الى درويش ثانٍ فالقاه هذا الثاني الى درويش ثالث اوصله الى الدكتور

فاجاب الدكتور باللغة الهندية الفصحى « انما جئت هيكل جاكرينا لمقابلة كاهنه الاعظم الذي اشتهر بعلمه وحكمته وذلك لاساله حل بعض المسائل العلمية والفلسفية التي اعيانا حلها »

وكانت جميع الابصار حينئذٍ شاخصة الى الدكتور فلما اتمَّ كلامه انتقلت الى راس البراهمة

و بعد برهة سال راس البراهمة الدكتور بالطريقة الاولى « قل ما هي المسائل التي ترغب في حلها »

فاجاب الدكتور على الفور · المسالة الاولى هي: « ما الطريقة التي يتوصل بها الانسان الى معرفة الحقيقة »

فتامل الكاهن الاعظم برهة ثم اجاب « ان الحقيقة لا ُتعرف الا بواسطة البراهمة » فانحنى كل من في المجلس اعجابًا بحكمة رئيسهم العظيم · اما الدكتور فساءه هذا الجواب لانه كان يتوقع جوابًا احسن منه ولكنه كظم ما في نفسه وسال السؤال الثاني وهو: « اين نجد الحقيقة في هذا العالم »

فشخصت جميع الابصار الى فم الرئيس تنتظر جوابه الحكيم

فلم يلبث راس البراهمة ان اجاب « ان الخالق وضع الحقائق كلها في الكتب الاربعة الهندية المقدسة وقد كُتبت هذه الكتب باللغة السنسكريتية منذ ١٢٠ الف سنة. ولا يقف احد على هذه الكتب ولا يفهم اسرارها الا البراهمة »

فدوت هنا القاعة من تصفيق الجالسين واخذتهم هزة الطرب اعجاباً بهذا الجواب السديد

اما الدكتور فلا تسل عن حنقه وغيظه . ولكنه تجلد ليرى النهاية ثم اجاب بشيء من النزق والحدة « ان كان الخالق قد وضع الحقائق في كتب خصوصية لا يقف عليها الا البراهمة ولا يفهمها احد غيرهم فذلك يدل على ان الخالق يخفي الحقيقة عن الذين ليسوا ببراهمة ولم يسمعوا بهم قط فهو بالتالي يمنعهم من معرفتها وهذا ظلم محض »

فاجاب الرئيس « هكذا اراد برهما وليس للبشر الاعتراض على ارادته »

فازداد الحاضرون تحمساً وتصفيقاً

فساله الدكتور عند ذلك سؤاله الثالث وهو : « هل يجب ان نقول الحقيقة للناس دائماً »

فاجاب الرئيس « من الصواب احياناً ان نخفي الحقيقة عن جميع الناس . ولكن لا يجوز البتة اخفاؤها عن البراهمة »

فلم يتمالك الدكتور ان استشاط عند ذلك غضباً فصاح : « لماذا نُكره الناس على ان يقولوا الحقيقة للبراهمة اذا كان البراهمة لا يقولونها لاحد ولا ينفعون بها احداً . الا يكون ذلك ظلماً من البراهمة »

ولكن ما لفظ الدكتور هذا الكلام حتى علت ضوضاء الحاضرين . فانهم سمعوا الدكتور يعزو الظلم الى الله سبحانه وتعالى فسكتوا عنه ولكنهم لم يسكتوا عند نسبته الظلم اليهم . فقام الزهاد والعلماء والدراويش والبراهمة والتلامذة قومة واحدة لمناظرة الدكتور ومقاومته . فنهض حينئذ الرئيس وصفق بيديه قائلاً بصوت سمعه الجميع « ان البراهمة لا يناظرون علماء الافرنج » ثم نزل من مكانه وخرج من القاعة

فازداد القوم صراخاً وهياجاً بعد خروجه وكادوا يؤذون الدكتور لولا معرفتهم بقوة الانكليز ونفوذهم في الهند . فخرج الدكتور من القاعة غاضباً متضجراً فقال له البرهمي الذي ادخله الى القاعة لو لم تُغضب الكاهن الاعظم لقدم لك الشراب والطيب حسب العادة فلماذا اغضبته . فاجاب الدكتور بماذا اغضبته . فقال البرهمي اغضبته باعتراضك على كلامه

الا تعلم بانه حكيم الهند وعظيمها وان كل كلمة من كلماته حكمة باهرة لا تفهمها العقول البشرية ·
فهز الدكتور راسه وخرج الى ثيابه وهو يقول : قد عرفت ذلك الآن فياضيعة التعب الذي عانيته في الوصول الى هنا

ثم اسرع الى ملابسه فنزع الغطاء القطني ولبسها وخرج يطلب رجاله

وكانت الغيوم حينئذٍ متلبدة في السماء والجو ينذر بالمطر والليل يرخي سدائله · فاستاذن الدكتور في المبيت في احدى غرف الهيكل فلم يؤذن له لانه كان « افرنجياً » اي نجساً فطلب ماء ليروي به ظماء ناله من التحمس والهياج فجاؤه بابريق فيه ماء فشرب الدكتور منه ثم ناوله للبرهمي فالقاه البرهمي على الارض وكسره لانه صار نجساً من فم « الافرنجي » فاستشاط الدكتور حينئذٍ غضباً فامر رجاله بالمسير في الحال فعادوا به من حيث اتوا قرب هبوط الظلام

فجلس الدكتور في هودجه فوق اكتافهم وجعل يتامل في المشاق التي عاناها للوصول الى هذا المكان وما كان من خيبة امله · واخذ يقول في نفسه : لقد صدق المثل الهندي القائل « ان كل اوروبي يقصد الهند يتعلم الصبر ان كان غير صبور و يفقد صبره ان كان صبوراً » فقد عيل صبري · لقد تعبت في التنقيش عن الحقيقة سدى وهاءنذا اعود خائباً · فما هذا الشقاء البشري · أفقضي على الحقيقة ان تظل مجهولة من الناس وعلى الناس ان يبقوا تائهين في وهاد الجهل والغباوة

وبينما هو سائر على اكتاف الرجال يتامل في هذا الموضوع والليل قد ارخى سدائله هبت بغتة اعصار شديد يسميه الهنود « طوفاناً » فكانت الريح تهب من صوب البحر على مياه نهر الكانج فتقذفها على الجزائر التى عند مصبه ثم تثير من شواطئها الرمل والتراب وتنزع من غاباتها اوراق الاشجار الى عنان السماء · وكانت الزوبعة تصدم الاشجار الضخمة المغروسة في جانبي الطريق فتعبث بها كما تعبث الريح الخفيفة الاعتيادية بالاعشاب وتحطم اغصانها وتلقيها في وسط الطريق · وفضلاً عن ذلك فان نهر الكانج اخذ بالفيضان بعد هبوب الزوبعة وصار المطر يهطل غزيراً · فخاف الدكتور ان تؤذيهم تلك الاشجار بالتوائها وانقصاف اغصانها وان يغرقهم الكانج بفيضانه فامر رجاله بالخروج من الطريق والسير في الحقول نحو الربى والآكام المجاورة احتياطاً لفيضان الكانج · فسار رجال الدكتور به في الجهة التي اشار اليها ثلاث ساعات على غير هدى تحت جنح الظلام · واذا بوميض برق شق كبد السماء وانار الافق فراوا الى بينهم على نوره هيكل جاكرينا

وجزائر الكانج يتلوها بحر عجاج متلاطم بالامواج وامامهم واديًا صغيرًا بين اكمتين وفيه حرش صغير قريب منهم . فاسرعوا الى هذا الحرش ليدخلوه فوجدوا نباتات وشجيرات تسد الطريق لالتفافها على اشجار الحرش فتناول الفرسان سيوفهم وفتحوا بها طريقًا فدخل الجميع تحت الاشجار الضخمة وهم يحسبون انهم اصبحوا في مامن من الفيضان والمطر والزوبعة . ولكنهم لم يتنفسوا الصعداء برهة حتى دهمتهم السيول من كل جانب تنصب في ذلك الوادي لان المطر كان غزيرًا . فعاودهم القلق والخوف

وفيما هم في هذه الحالة يضربون اخماسًا لاسداس حانت من احدهم التفاتة فابصر من خلال الاشجار بصيص نور بعيد فاسرع حامل المصباح الى مكان النور ليشعل مصباحه غير انه لم يغب بضع دقائق حتى عاد ركضًا وهو يلهث و يصيح بكل قواه « ابعدوا ففي هذا المكان خارجي »

فاسرع الدكتور وتناول مسدسه وهو يظن ان هنالك وحشًا ضاريًا ثم سال الرجل : « ما هذا الخارجي »

فاجاب الرجل وهو يلهث تعبًا وخوفًا . « هو رجل بلا ذمة ولا دين » فقال رئيس الفرسان للدكتور « الخارجي هو هندي من ادنى الطوائف وشريعتنا تحلل لنا قتله اذا لمسنا . واذا جالسناه حُرمنا نعمة الدخول الى هيكل من هياكل الاقمار القدسة ووجب علينا ان نطهر انفسنا بالاستحمام تسع مرات في نهر الكانج وان يدهننا البراهمة ببول البقر تسع مرات من الفرق الى القدم »

فصرخ جميع رجال الدكتور وكلهم من الهنود كما تقدم « لا نجالس خارجيًا ولا ندخل مكان خارجي »

فسال الدكتور حامل النور « ومن اين علمت ان الرجل خارجي بلا ذمة ولا دين كما زعمت » فاجاب الرجل « علمت ذلك من انني لما فتحت باب كوخه رايته جالسًا بجانب كلبه وهو يقدم الماء لامراته في قرن البقر . ولا يخفى عليك ان الكلب دنس والبقر من معبوداتنا »

فصاح الجميع مرة ثانية « سحقًا له فنحن نكره رؤيته »

فنظر اليهم الدكتور باسمًا ثم قال « اقيموا انتم هنا ان اردتم . اما انا فلا يعنيني شيء من اتقاء خطر الزوابع والسيول فعندي جميع طوائف الهند سواء »

قال ذلك ثم تأبط كتابه وكيسًا وضع فيه امتعته ومسدسه وغليونه ثم تركهم وسار

نحو مكان الخارجي مستهدياً ببصيص النور المنبعث منه

٥

وما زال الدكتور سائرًا في الظلام نحو النور حتى انتهى الى كوخ قائم تحت شجرة عظيمة فدنا من الباب وقرعه قرعاً لطيفاً . ففتح له الباب رجل لطيف الهيئة ولما نظر هذا الرجل الدكتور تنحى عن الباب وقال بادب «عفوًا ياسيدي فانا خارجي لا استحق ان تشرف بيتي . اما اذا كنت تطالب الاحتماء من الزوبعة فاهلاً بك وسهلاً»

فدهش الدكتور من هذه اللهجة واجابه باللغة الهندية التي كان يعرفها كما تقدم «شكرًا لك يا اخي وانا اقبل دعوتك بابتهاج وسرور»

ثم دخل الدكتور الى الكوخ مستأنساً بالنور بعد الظلام وبالاجتماع بعد الوحدة فراى كل ما في داخل الكوخ بسيطاً نظيفاً مرتباً وابصر في احدى زواياه امراة خاشعة الطرف تهز بلطف سرير ولدها

اما الخارجي فانه ما دخل الدكتور الى بيته حتى خرج فاحتمل حطباً كثيرًا وتناول سلة مملوءة من ثمار الموز والنارجيل ثم خرج يفتش عن رجال الدكتور . ولما اهتدى اليهم وضع الحطب والسلة بعيدًا منهم وخاطبهم بلطف عن بعد قائلاً «بما انكم لا تتنازلون لدخول كوخي فاذنوا لي بان اقدم لكم ما تسدون به حاجتكم فلا بد انكم في جوع ولا بد ان يكون المطر قد بلل ثيابكم فخذوا هذه ثمار مغلفة لم تمسها يدي فاخرجوها وكلوا منها وهذا حطب اضرموه تجفيفاً لملابسكم وابعادًا للنمورة عنكم . وليكن الله حارساً لكم»

ثم عاد الخارجي الى الكوخ مسرعاً فمد بساطاً ووضع عليه شيئاً من العنباء والبطاطس المشوية والموز المشوي وقدرًا من الارز المطبوخ بالسكر وحليب النارجيل . ثم دعا الدكتور الى هذا الطعام الطبيعي البسيط بقوله : «لا بد انك علمت ياسيدي انني خارجي لا استحق ان ادنو من احد او ان يدنو مني احد غير اني ارى في ملابسك ما يدلني على انك لست هندياً فان رايت ان تتنازل الى تناول ما اعده لك خادمك الحقير اوليتني نعمة وجميلاً»

فاثرت هذه اللهجة في نفس الدكتور احسن تاثير فنهض الى بساط الطعام مسرورًا . اما الخارجي فتنحى مع امراته وولده في احدى زوايا الكوخ فساء ذلك الدكتور والتفت اليه قائلاً : «لماذا لم تجلس معي على الطعام . انت افضل مني ايها الرجل لاني رايتك تُحسن الى من يسيء اليك (يعني بذلك تقديمه الطعام والحطب لرجاله) فاذا لم تجالسني على هذا

الطعام حسبت انك تظنني شريرًا مثل اولئك الرجال وحينئذ اترك الكوخ عائدًا من حيث اتيت ولو اغرقني السيل واكلتني الوحوش "

فنهض الخارجي وجلس بجانب الدكتور واخذ يأكل معه . فاكل الدكتور مسرورًا لانه وجد ملجاء من الزوبعة والمطر . وكان الكوخ مبنيًا في اضيق مكان في الوادي تحت دوحة من التين الهندي وهي شجرة ضخمة ذات ورق كثيف عريض لا ينفذه ماء المطر مهما هطل . وكانت الزوبعة في الخارج تزئر زئيرًا شديدًا تمازجه صعقات رعد هائلة والريح تهب هبوبًا شديدًا يكاد يقتلع الاشجار من اصولها ومع ذلك فقد كان كل ما في داخل الكوخ هادئًا ساكنًا حتى نور السراج ودخانه . فراق الدكتور هذا السكون السائد حول الهندي وامراته وسط هياج الطبيعة وعناصرها . وكانت المراة جالسة قريبًا من سرير ولدها تهز سريره بقدمها وتصنع له بيديها طوقًا من الزهر لتزينه به . وكان الرجل ينظر اليها والى ولده الحين بعد الحين بعين طافحة حبًا وحنوًا وعلى وجهه لوائح الدعة والبساطة وفراغ البال وراحة الضمير . فكأن كل ما في ذلك الكوخ المنفرد في البرية وسط الطبيعة الثائرة الهائجة كان مستريحًا هادئًا حتى كلب الكوخ وهرته اللذين كانا نائمين بجانب موقد النار الواحد بقرب الآخر . وكان الكلب يفتح من حين الى حين عينيه و يتنهد كلما وقع نظره على سيده

ولما فرغ الدكتور من تناول الطعام اتاه الهندي بنار لاشعال غليونه ثم اشعل هو غليونه واشار الى امراته فجاءت بسلتين من النارجيل واناء مملوء شرابًا مصنوعًا من الماء والعرق وعصير الليمون الحامض وماء قصب السكر فتناول الدكتور شيئًا من ذلك ثم جلسا للحديث فقال الدكتور

لقد اعجبني ايها الاخ عيشك البسيط في هذه الارض القفراء وسط هذه الغابة الكثيفة وكأني اقرأ على جبينك ما انت فيه من خلو البال وراحة الضمير غير اني اسالك الا تخاف الزوابع والصواعق في هذا المكان المنفرد فان كوخك لا يقيه منها غير هذه الشجرة والاشجار تجتذب الصواعق كما تعلم

فاجاب الهندي : ان الصاعقة لا تقع البتة على شجرة التين الهندي

فقال الدكتور مستغربًا : هذا امر كنت اجهله واني اشكرك على هذا الاكتشاف ولكن ما السبب في ذلك هل ان لشجرة التين الهندي كهربائية سلبية كشجرة الغار

فقال الهندي لا افهم معنى كلامك ياسيدي . وانما امرأتي تقول ان سبب ذلك ان

برهما تفيأ ظلها يوماً من الايام فخصها بهذه المزية · واما انا فاني ارى ان الخالق الذي خصها بورق كبير غليظ لا ينفذه المطر وقاية للبشر الذين يلجئون تحتها في هذه الاقطار الشديدة الامطار رأى ان يتمّ نعمته عليهم فخصها بمزية الوقاية من الصواعق كما خصها بمزية الوقاية من المطر

فقال الدكتور معجباً بقول الهندي : ما اسمى كلامك واعظم ثقتك بالعناية الالهية · وكاني علمت من جوابك امراً كنت اجهله وهو ان ثقتك بالله هي التي جعلتك مستريح الخاطر ناعم البال في هذه الوحدة · فقل لي ما هو مذهبك فقد راجعت في كتاب معي اسماء جميع طوائف الهنود فلم اجد فيه ذكراً لطائفة « الخارجيين » فمن اية طائفة انت · واين وطنك · وفي اي اقليم معبدك

فاجاب الهندي بشيء من الرزانة :

« وطني هذا العالم الفسيح · ومعبدي هذه الطبيعة الواسعة · فاني كلما اشرقت الشمس وقفتُ امامها في وسط الطبيعة اسبح خالقها · وكلما غربت شيعتها بنظري وحمدت الله عداد النعم التي يمنحني اياها · ولا همّ لي في معيشتي هذه غير خدمة امرأتي وولدي والعناية بكل ما هو لي حتى كلبي وهري · وانا كما تراني مسرور بمعيشتي في وسط الطبيعة سرور الولد في حضن امه او العصفور في عشه · ومتى حان اجلي غداً استقبلت الموت باسماً لاني لا احسبه شراً ولا ألماً وانما انتظره الآن كما انتظر نوماً لطيفاً في آخر النهار

فاخذ العجب من الدكتور كل ماخذ لهذا الجواب البديع · فسال الهندي : واي كتاب ارشدك الى هذه المبادىء الجميلة · فاجاب الهندي كتاب الطبيعة ياسيدي · فقال الدكتور لا ريب انه كتاب عظيم ولكن من علمك القراءة في هذا الكتاب · فاجاب الهندي

« المصائب ياسيدي · فاني ولدت في طائفة يسميها الهنود « خارجية » لانهم يعتبرونها خارجة عن طوائفهم المعروفة ولذلك يقولون انها نجسة رجسة فلا يقربونها · فلما شببت وجدت نفسي عاجزاً عن ان اكون هندياً ديناً ووطناً فعزمت على ان اكون انساناً · فلجأت الى الطبيعة لاعيش فيها حراً مستقلاً بعيداً عن ظلم اخواني بني الانسان

فقال الدكتور وما هي الكتب التي تستعين بها على صرف وقتك في هذه الوحدة · فاجاب الهندي باسماً اني لا اعرف القراءة ولا الكتابة ياسيدي · فهزّ حينئذ الدكتور راسه وقال له انك كفيت نفسك شكوكاً كثيرة · اما انا فاني مرسل من انكلترا لجمع

الكتب والاوراق بحثاً عن الحقائق وسعياً وراء ما يرفع شان البشر ويزيد راحتهم . وقد عانيت في هذا السبيل كثيراً من المشاق والاتعاب وفي اعتقادي ان تعبي قد ذهب سدًى لانني صرت ارى السعي وراء الحقيقة عبثاً ولهواً بل حماقة وجنوناً اذ هب انا وجدنا الحقيقة التي ننتش عنها فمن يقبلها ويسمعها دون ان ينقلب بالسخط علينا

فاجاب الهندي . اني وان كنتُ على ما تعلم من الجهل يا سيدي الا انني استأذنك في ابداء رايي . اني اعتقد ان الانسان محتاج الى معرفة الحقيقة لذاتها لا لامر آخر اذ على الحقيقة يتوقف هناء الانسان وسعادته وبدونها لا يكون الانسان الا وحشاً طماعاً جاهلاً فاسد الاخلاق متعلقاً بالاوهام والترهات تبعاً لاغراض الذين يتولون تربيته . فالبحث عن الحقيقة من واجبات الانسان ومعرفتها حق له

٦

وكان الدكتور لا يزال يفتكر في المسائل الثلاث التي القاها على رئيس البراهمة فلما راى اجوبة الهندي السديدة واقواله الصائبة خطر له ان يلقيها عليه ايضاً ليرى رايه فيها فقال له : قلتَ ان الانسان محتاج الى معرفة الحقيقة لذاتها لا لامر آخر وانه يكون بدونها وحشاً لا انساناً فهل لك ان تدلني على الطريق الموصلة الى الحقيقة . ولا تقل الحواس فان الحواس تكذب وتخدع . ولا تقل العقل فاني لا ارى العقل الا صورة للمصالح الشخصية ولذلك ترى هذا الخلاف العظيم بين البشر . انظر الى العالم هل ترى فيه امتين بل قبيلتين بل طائفتين بل عيلتين بل رجلين بافكار واحدة . فان لم يكن العقل هو الطريق الى الحقيقة فما هي الطريق اذاً

فاجاب الهندي ان العقل يخدعنا دائماً كما ذكرتَ ولذلك لا يصح ان يكون الطريق الى الحقيقة وانما الطريق الى الحقيقة والمرشد الامين اليها هو القلب الساذج السليم

فاجاب الدكتور . قد تكون مصيباً في قولك ايها الاخ وكانني فهمت الآن سبب اختلاف أفكار الناس وتباين آرائهم . فهم يتفقون شعوراً ولكنهم يختلفون حكماً . فان مبادىء الحقيقة تدخل الى نفوسهم فيشعرون بها جميعاً ولكن كل واحد منهم يستنتج ويحكم طبقاً لمصلحته وهواه . فالمضلُّ هنا هو العقل لا القلب . فاذا كان القلب نقياً سليماً كما ذكرتَ شعر بالحقيقة وحكم بما تمليه عليه دون ان يؤثر فيه مؤثر سواها

فقال الهندي . لقد شرحتَ فكري شرحاً لا اقدر عليه . ولكني اشبه تشبيهاً يُعرب عما في ضميري . ان الحقيقة كندى السماء . ولا يبقى الندى نقياً الا اذا وُضع

في اناء نقي

فصاح الدكتور مدهوشاً : احسنت احسنت . ان الحقيقة كندى السماء وهي لا تبقى نقية الا اذا حفظت في قلب نقي . ولكن قل لي اين نجد الحقيقة . افي مكاتب العلم ام في صدور الناس . لقد طفت في سياحتي بلاداً كثيرة ونقبت في كثير من المكاتب وناظرت كثيرين من العلماء فلم اجد ايان سرت وحيثما حللت سوى آراء متناقضة ومذاهب مختلفة وشكوك واوهام . فاذا كانت الحقيقة لا توجد في مكاتب العلم وصدور الناس فاين نجدها اذاً

فاجاب الهندي . لو كنا لا نتوصل الى الحقيقة الا بواسطة البشر لارتبنا فيها واسأنا الظن بها . فدع الناس وشانهم اذا اردت البحث عن الحقيقة ولا تفتش عنها في اقوالهم واعمالهم فان اقوالهم واعمالهم تزيدك تيهاً وضلالاً . وانما فتش عن الحقيقة في الطبيعة وكل من يبحث عنها خارج الطبيعة يضلُّ سبيلاً . فان الطبيعة مصدر كل ما في الكون كما ان الله مصدر كل ما في الطبيعة . ولغة الطبيعة لطيفة بسيطة تفهمها ابسط العقول فضلاً عن كونها ثابتة ابدية لا يطرأ عليها تغيير او تبديل . واما لغة البشر فانت ادرى بما فيها من الابهام والغموض وما يطرأ عليها من الانقلاب

فقال الدكتور يؤخذ من قولك ان الطبيعة مصدر الحقائق كلها . وهو قول يصح في الحقائق الطبيعية ولكنه لا يصحُّ في الحقائق التاريخية . كيف الوصول الى معرفة ما جرى منذ الف او الفي سنة دون الاستعانة بالكتب . فان قلت بالنقل والتواتر اجبتك ان الانسان انسان في كل زمان ومكان فمن يركن الى قوله وينزله منزلة الحقيقة الثابتة التي لا تُنقض فقد ركن الى الجهل والضعف والتشيع والتحريف والنسيان . فلا غنى لنا اذاً عن الكتب اثباتاً للحقائق التاريخية

فضحك الهندي وقال . ولكن من كتب هذه الكتب . أليس الانسان . ومع ذلك فاية حاجة بنا الى التاريخ وكتبه . واي تاثير للتاريخ في سعادتنا على هذه الارض . بل اية علاقة بين السعادة وذكر حوادث مضت وايام خلت . ان تاريخ ما كان لهو تاريخ ما هو كائن وما سيكون

فاجاب الدكتور متعجباً . لقد سلمت بهذا الراي . يجب ان نبحث عن الحقيقة في الطبيعة وان لا نعبأ بما هو خارج عنها اذ لا علاقة له بسعادتنا . ولكن ما الواسطة التي ندرك بها هذه الحقيقة اعني دليلنا الذي نتوصل به اليها . انا نرى الحيوانات في الطبيعة

في حرب مستمرة فهي تقتتل وتاكل بعضها بعضا · فهل يجب ان يصنع الانسان بالانسان ما يصنعه الحيوان بالحيوان

فاجاب الهندي · كلا ثم كلا · لان في قلب الانسان اساساً طبيعياً لحقوقه وواجباته وقد وضع الخالق هذا الاساس في داخل النوع البشري كما توضع المنائر على شواطئ البحار لهداية السفن · وهذا الاساس هو هذه القاعدة البسيطة «اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك» هذا هو دليل الانسان وقاعدة واجباته

فازداد الدكتور دهشة لاصالة راي الهندي ثم ذكر اجوبة رئيس البراهمة وقابلها باجوبة الهندي فعرف من هذه المقابلة كيف تحط الاوهام العقول وكيف يرفعها الانطلاق من اسر الاوهام · وبعد ذلك قال الدكتور

انني اسلم بصحة ارائك فيما يختص بالحقائق الادبية ولكن ما قولك في الحقائق الدينيه والطريق اليها · ان العالم مملوءٌ بالاديان المختلفة والمذاهب المتباينة التي تفرق الشعوب وتقسم الامم فكيف الوصول الى الحقيقة في وسط تلك المذاهب والاديان المختلفة

فاجاب الهندي · قلت لك ان تفتش عن الحقيقة في الطبيعة دون سواها فاذا رمت الحقيقة الدينية فلا تخرج عن هذه القاعدة · انظر الى الطبيعة بقلب بسيط نقي تجد روح الله مرفرفاً على وجهها وتقرأ آيات قدرته وحكمته في صفحاتها · اما الخلاف في المذاهب والاديان فاضرب عنه صفحاً فان لدى البشر من المصائب والجهل والشقاء ما يجب ان يشغلهم بحب الله تعالى وعبادته عن البحث فيه والمناظرة في شؤونه

فلم يتمالك الدكتور ان صاح ملءَ فمه : احسنت احسنت ولا سد فوك · وليت المشتغلين بتقسيم البشر وتفريقهم يسمعون هذا الكلام · بقي لي الآن سؤال واحد وهو هل اذا وجد الانسان الحقيقة يجب عليه ان يُطلع الناس عليها فاننا كثيراً ما رأينا البشر يضطهدون من يقول لهم الحق · فما رايك في هذا

فاجاب الهندي · لا ارى من الواجب ان نقول الحقيقة للاشرار والاردياء الذين يكرهونها ولكنه واجب محتوم ان نقولها للصالحين والعقلاء الذين يحبونها · ومثل الشرير والحقيقة مثل تمساح ولؤلؤة · فانك اذا القيت لؤلؤة الى التمساح انقض عليها ليسحقها باسنانه لا ليتزين بها اذ انه لا اذن له · ولما يعجز عن كسرها يلقيها وينقضُّ عليك ملتهباً حقداً وغضباً

فراق الدكتور هذا التشبيه فقال معجباً. ولكن لي عليك اعتراض . وهو انه يوءخذ من كلامك ان الناس الاشرار يضطهدون كل من يحب الحق و يقوله لهم . فمن يجترىء والحالة هذه على التصريح بالحقيقة وتعليمهم اياها اذا كان نصيبه الاضطهاد والعدوان

فاجاب الهندي . للبشر مدرسة عليا تعلمهم الحقيقة وتسمعهم صوتها اذا سكتت اصوات الناس عن النداء بها . وهذه المدرسة هي : مصائب الحياة

فقال الدكتور معترضاً : اما في هذا فلست من رأيك ايها الرجل الفاضل لاني اعتقد ان المصائب تحط قوى النفس و تزيد شقاء الانسان . وكلما ازداد الانسان شقاء ازداد تلوثاً بحمأة الضعة والدناءة . فما تقول في هذا .

فاجاب الهندي : ان قولك هذا يصدق على الانسان اذا لم يبلغ اقصى درجات المصائب في هذه الحياة . اما الذين يصلون الى قمة المصائب فان غشاء كثيفاً يسقط عن عيونهم فيرون الحقيقة مجردة من كل شيء . ومثل المصائب مثل الجبل الشامخ الوعر . فانك تتعب في صعوده ولا تجد في وجهك الا حجارة وشوكاً ولكنك متى بلغت قمة هذا الجبل ابصرت منظراً طبيعياً جميلاً : السماء فوق راسك والارض بمناظرها الطبيعية الرائقة منبسطة تحت قدميك

فصاح الدكتور مدهوشاً

ما اجمل هذا التشبيه واصح هذا الكلام . اجل ان المصائب كالجبل الذي ذكرته وكل واحد منا امامه جبل يجب عليه ان يصعده . اما جبلك انت ايها الرجل الفاضل فيلوح لي انه كان شاهقاً جداً لاني اراك ارقى من جميع البشر الذين عرفتهم ولعل ذلك لانك كنت اتعسهم . فقص عليّ تاريخ حياتك واخبرني لماذا صارت طائفتكم مضطهدة ممقوتة الى هذا الحد

(ستاتي البقية في المقالة التالية وفيها الخاتمة)

الواحات المصرية

واحتياجها الى عناية الحكومة

في داخل القطر المصري بلاد واسعة مجهولة تدعى « الواحات » قلما يعرف عنها الناس شيئاً . وقد هبت فيها في ٢٤ يناير زوابع شديدة هدمت كثيراً من المنازل واماتت كثيرين من السكان وهطلت فيها امطار متواصلة استمرت ٤٠ ساعة متوالية فافنت بعض الحاصلات والمواشي فاصدرت الحكومة المصرية امراً الى سعادة مدير اسيوط بالسفر في الحال الى مكان الحادثة لمساعدة المنكوبين واغاثتهم

وقد نشرت جريدة (مصر) الغراء كلاماً مسهباً عن هذه الواحات وموقعها وزراعتها واهلها واخلاقهم فراينا من الفائدة وحسن الخدمة اعادة نشره توجيهاً للانظار الى قوم ضعاف يحتاجون الى عناية الحكومة وارشادها اشد احتياج و بياناً للبون الشاسع الذي بين حالة الانحطاط الشديد في الواحات وحالة التقدم الزاهر في امهات مدن القطر مع ان الفريقين جزء من بلاد واحدة وتابعان لحكومة واحدة

موقع الوحات — الواحات التابعة للحكومة المصرية جميعها واقعة في الصحراء الغربية المعروفة بصحراء ليبيه الفاصلة بين مصر وطرابلس الغرب وهي على اربعة اقسام اولها من الجهة القبلية الواحات الخارجة التابعة لمديرية اسيوط واقعة غربي الاقليم الممتد من اسنا الى اسيوط وهي عبارة عن اربعة بلدان كبرى تتبعها بعض كفور صغيرة وسكانها كلهم لا يزيدون عن سبعة الآف نسمة وعاصمتها بلدة الخارجة واسمها القديم (مدينة النيموت) وفيها اثار نفيسة للمصريين الاقدمين تشهد بما كان لها من الارتقاء العظيم في غابر السنين وهي الان عبارة عن قرية بسيطة بها مقر معاون الادارة المتولي الحكم عليها من قبل مديرية اسيوط وشرذمة من البوليس بقيادة احد الضباط

والى شمال الخارجة على مسير ثلاثة ايام تجد الواحات الداخلة وهي ايضاً تابعة لمديرية اسيوط وواقعة الى الشمال الغربي منها وسكانها نحو ١٧ الف نسمة يقطنون ١٢ بلدة عاصمتها بلدة موط وبها يقيم مامور الادارة وشرذمة من البوليس وقاضي الواحات الشرعي وطبيب تنتدبه مصلحة الصحة مرة في كل سنة وفي هذا القسم حدثت نكبة السيل المتقدم الكلام عليها

والقسم الثالث من الواحات يعرف بالواحات البحرية وهو واقع غربي اقليم المنيا وتابع

لمديريتها وممتد الى جنوب اقاليم الفيوم وعدد سكانه نحو سبعة الاف نفس يقطنون في اربعة بلدان و بعض الكفور وعاصمته بلدة البواطي وبها يقيم مندوب الحكومة وكان هذا القسم قبلاً تابعاً لمديرية الفيوم فاحيل من عهد قريب على مديرية المنيا لقربه اليها

اما القسم الرابع فهو واحة سيوى التابعة لمديرية البحيرة وهذه الواحة واقعة شمالي غربي القطر المصري بين مربوط وطرابلس الغرب وهي اصغر الواحات وسكانها لا يزيدون عن ٥ الاف نفس واغلبهم من عرب القرب الكثيري التردد عليها

وكل هذه الواحات كائنة في وادٍ منخفض مستطيل يشبه وادي الصعيد في عرضه وتعريجه ممتد من فوق اصوان جنوباً الى شطوط البحر المتوسط شمالاً يعرف بوادي دمو وهو واقع خلف سلسلة جبال الوجه القبلي الى الجهة الغربية بمسافة يختلف عرضها بين ٦٠ و١٠٠ كيلو متر واكثر اراضي هذا الوادي صالحة للزراعة والجانب الاكبر منها مركب من الطين الاسود المعروف بالابليز الذي يخلفه طمي النيل بعينه وهذا مما يؤيد راي القائلين بان النيل كان يجري قديماً في هذا الوادي الفسيح كما يجري الآن في مصر ونحن من اصحاب هذا الراي بدليل ما رايناه فيه من الاثار الكثيرة واطلال المدن الكبيرة الباقية الى الآن في وسط قفاره الموحشة وهي ما وجدت في هذا الاقليم العظيم الا حينما كان آهلاً بالسكان وتحفوفاً بالخصب والعمران . ومن البديهي ان العمران لا يوجده في مثل ذلك المكان غير النيل وفيضانه العميم وكل الاراضي المشغولة الآن بالزراعة في الواحات لا تُعد شيئاً مذكوراً في جانب باقي اراضي وادي دمو المقفرة لحرمانها من الماء بل هي عبارة عن قطرة من بحر ولا بد ان تاتي ايام فيها تقوى يد الانسان على ايصال العمران اليها مرة ثانية قياساً على حركة التقدم السائر عليها الكون في هذا الزمان

اما الآن فلا سبيل الى ايجاد الماء في ارض الواحات لري الزراعة واستقاء الناس الا بواسطة الابار الارتوازية . وحفر هذه الابار هناك معروف من قدم وهو محصور بعمال الحكومة الى الآن ولكن لا يعلم بالضبط من الذي اوجده بها وقد تحققنا ان المغفور له محمد علي باشا استدعى اليه في سنة ١٨٣٦ احد العلماء الجيولوجيين من فرنسا وهو المرحوم ايمو بك وكلفه تحسين حالة الآبار التي وجدها من قبل ايامه وكلفه كذلك حفر ابار اخرى من نوعها فصدع بامره واستحضر من اوربا الالات الكافية لذلك وكلها باقية الى الآن في عهدة عمال خصوصيين من قبل الحكومة مختصين بهذا العمل نظير اجرة يتقاضونها من الاهالي

ومياه الابار الارتوازيه في الواحات تفيض من نفسها على سطح الاراضي على ارتفاع يختلف بين ٢٠ و٥٠ سنتيمترًا على الاكثر والبئر الواحدة تكفي لزراعة نحو مائتي فدان في في السنة ومياهها لا تصلح للشرب الا بعد الترشيح لاختلاطها بكثير من المواد الكبريتية والمعدنية

الاراضي والزراعة — كل اراضي الواحات حرة مباحة لمن يريد الزراعة فيها وهي بلا ثمن ولكن الماء اللازم لريها وانمائها ذو قيمة ثمينة لا ياتي الا من الابار الارتوازية التي اشرنا اليها وهي تكلف الذين يقومون بحفرها انفاق نفقات طائلة حتى ان البئر الواحدة لا يقوى على حفرها هناك غير جماعة كبيرة من الناس وثروة الافراد في الواحات تقدر بحسب الحصص التي يمثلها كل واحد منهم في تلك الآبار

واكثر الاراضي هناك طفلية تكثر فيها الاملاح والزراعة تجود فيها كثيرًا ولكن ضعف الاهالي وتقاعدهم عن ايجاد المصارف اللازمة لها يؤديان الى التلف حتى انك لتجد المزارعين يسرعون بتحويل الماء من موضع الى موضع في كل سنة او اكثر من الزمان بلا تأمل لما تقتضيه حالة الزراعة من خدمة الارض و لاعتناء بها فنتج عن ذلك تلف اكثر الاراضي وتحولت الى مستنقعات ولا سيما بما ينساب اليها من المياه المختلفة من زراعة الارز الذي هو اكثر انواع الزراعة عندهم وهذا هو سبب تفشي الحميات بين سكان الواحات وصيرورتها من امراضها الموضعية المستديمة · ولسكان الواحات اعتناء كلي بزراعة النخيل واكثر الاراضي مشغولة به وهو مصدر ثروتهم وقوام معيشتهم ومحصوله تنقله القوافل كل سنة الى داخل القطر و بعضه يصدر الى تركيا و بلاد اليونان ولا سيما النوع المعروف بالعجوة وتزرع هناك انواع الحبوب والفاكهة وشجر الزيتون واكثر محصوله يعصره الاهالي زيتًا و ينقلونه الى الارياف و يبيعونه · اما الارز وهو اكثر مزروعات الواحات كما مر فيطحنه الاهالي شعيرًا و يعملونه خبزًا بدل القمح والقليل منه يعتنون بتبييضه

و يوجد بالواحات كل انواع المواشي و يكثر فيها البقر بنوع اخص ولكنه صغير الحجم ضعيف القوة · والجمال لا تعيش بها طويلاً مع انها الواسطة الوحيدة في نقل الناس والامتعة منها واليها · وتا كل المواشي هناك نوعًا من نبات الجلبان ينمو كثيرًا في اراضيها ويدوم اكثر ايام السنة

الاهالي واحوالهم — ولاهالي الواحات شهرة خاصة بالخمول والكسل يضرب بهما المثل حتى انه لم يشتهر بينهم فرد واحد بمأثرة واحدة يستحق الذكر عليها ومن اكبر الادلة على

ان الكسل سبب الضعف والسقم هو انك تجد غالب سكان الواحات من رجال ونساء شبان وكهول في حال من ضعف البنية وفقر الدم قل ان توجد بصفة عامة في غيرهم وهم لا يشتغلون الا بقدر ما تضطرهم حالة معيشتهم الى العمل واكثرهم اختار الزبالة حرفة له حتى انك لا تجد زبالاً في اية مدينة كانت من مدن القطر الا وهو من اهل الواحات وتراهم يصرفون اكثر ايام السنة في هذه الديار وحينما ياتي موسم البلح عندهم يعودون الى بلادهم بما جمعوه من المال فيدفعونه في ضرائب النخيل ويبيعون ثمره وينفقونه على انفسهم ثم يعودون الى مزاولة عملهم الاول وهم لا يفكرون في الاشتغال بامور اخرى تساعدهم على تحسين معيشتهم وترقية حالتهم

ولو كان هؤلاء القوم على شيء من النشاط الذي كان عليه اسلافهم لاهتموا بحرث اراضيهم الواسعة وحولوا مستنقعاتها المضرة بصحتهم وابدانهم والمسببة لهم هذا الخمول الفاضح الى جنات يانعة تزيد ثروتهم وتنتشلهم من الخمول والسقام . ومرجونا ان يترتب على زيارة سعاده حشمت باشا لبلادهم الان ارشادهم الى ما فيه نفعهم وخصوصاً لانه لم يزرهم حاكم كبير من زمن طويل

رأي فيلسوف الجامعة في المرأة

وراي قاسم بك امين

بعد مطالعتنا كتاب « تحرير المرأة » لمؤلفه حضرة المصلح الفاضل عزتلو قاسم بك امين المستشار في المحكمة الاستئنافية الاهلية في العاصمة بالامعان الذي هو جدير به وتلخيصه في باب « التربية والتعليم » في هذا الجزء رأينا من الفائدة ان ننقل الى قراء الجامعة والى الذين اهتموا بهذا الموضوع اهتماماً عظيماً في مصر والشام راي فيلسوف الجامعة الذي لا يختلف اثنان في صحة حكمه ودقة نظره ونريد به الفيلسوف جول سيمون . وقد اذكرتنا شهادة هذا الفيلسوف كلمةٌ قالها عزتلو قاسم بك امين في كتابه وهي ان اسباب ضعف الامم الاسلامية تنحصر اما في الاقليم واما في الدين واما في العائلة ثم نقض سببي الاقليم والدين ونسب السبب الكلي الى العائلة . وهنا نورد شهادة جول سيمون التي تنطبق على هذه الشهادة انطباقاً غريباً كانها كتبت لها . قال الفيلسوف في ختام احد فصول كتابه « المراة في القرن العشرين » ما خلاصته

الحجاب والعائلة والمرسلون

« ان النساء الشرقيات يعشن منفردات في دائرة لا يدخلها الرجال (١ وما هن بمسجونات ولكنهن لا يخرجن من منازلهن الا محجبات ولا يختلطن بالرجال في سفر ولا في نزهة ولا يزرن الا النساء . اما الزوج فانه لا يرى الا نساءه ولا يطلب منهن سوى المسرة وليس بينه و بينهن امتزاج في العواطف والافكار . ولا ريب في ان هذه الحالة مخالفة لنواميس الطبيعة وسنن العدالة وليس في استطاعتي الاعتقاد بان الطبيعة البشرية تبقى صابرة على ذلك بل في رأيي انها ستنهض للنجاة من هذا الاسر المخيف

ثم انتقل الى ارسال المرسلين من الغرب الى الشرق فقال ما محصله « نعم ان ارباب الدين يبعثون بالمرسلين الى الشرق ولكن هؤلاء المرسلين لا يدخلون بين الرجال الا بصعوبة فضلاً عن كونهم لا يستطيعون مخالطة النساء والنفوذ اليهن . اما الراهبات فانهن ينفذن الى النساء ولكنهن لا يخالطن الا النساء المهجورات او المتألمات . على ان كلاً من الفريقين يحمل الى الشرقيين عقائد وتعاليم لا تفهمها عقولهم ولم نسلم نحن بها الا لاننا نرضعها مع اللبن ونأخذها قبل حصولنا على قوة الفكر . فنحن انما نُظهر للشرق جانب ما وراء العقل والطبيعة من ديانتنا . فلو ان العائلة كانت لا تزال موجودة عندنا واستخدمناها في تمدين الشرق لكنا اسرع سيرًا واكثر تأثيرًا

« ولكنها من سوء الحظ قد ماتت عندنا وموتها يُحسب اكبر مصاب في عصرنا . واذا نظرنا الى النساء الشرقيات وجدنا ان رغبتهن في اقتباس التمدن الاوروبي تبدأ بمطالعتهن رواياتنا . فهن يرين فيها نشوز المرأة من جهة وشرود الزوج من جهة اخرى . ولكن الاجدر بنا ان نربهن العائلة . فاصلاح العائلة اذًا بمثابة اصلاح الشعب بل اصلاح كل الشعوب » (٢

ولكن لماذا قال الفيلسوف ان العائلة في فرنسا قد ماتت او كادت تموت . السبب ان الشارع ادخل مبدأ الطلاق الى الزواج . فالطلاق والعائلة الحقيقية نقيضان لا يجتمعان . وهذا ما قاله الفيلسوف بهذا الشان

---

١) ورد في السطر الاول من هذه المقالة « بعد مطالعتنا كتاب تحرير المرأة » وصوابه « بعد مطالعتنا كتاب المراة الجديدة »

٢) تمدين العالم بواسطة العائلة

الزواج والطلاق

« اصبح تعريف الزواج بعد ادخال الطلاق فيه كما ياتي : « الزواج رباط قابل للانحلال بواسطة الطلاق » واني آسف لذلك كل الاسف لان الدوام وعدم قابلية الانحلال في ما يختص بالزواج صفتان دينيتان . وليست الصفة الثانية (عدم قابلية الانحلال) امرًا شاقًا ثقيلاً بل هي قوة تملأ الصدور قوة وتتخذ الوقت لها معينًا . هي تبث السلام والتسامح في نفوس لو لجأت الى المحاكم لتنازعها الشقاء والعناء . هي لا تقضي على الاباء باحناء اعناقهم تحت نير ثقيل في بعض الاحيان الا لتخفف احمال الابناء وتلقي تبعات الذنوب على الذين ارتكبوها دون سواهم . افترون ان الهيئة الاجتماعية قوية الى هذا الحد حتى تجترئوا على ادخال هذا الضعف الى اساس النظام الاجتماعي . ان الطلاق اللاصق بالزواج كمبداء الموت لاصق بمبداء الحياة . وقد اصبح نص الزواج نفسه كاذبًا . فان الرجل يصرح للمراة بقوله « سابقى ثابتًا على ولائك » والشريعة تسمح له ان يُضمر هذا القول « ما دمتُ راضيًا عنك » ولذلك صار الزواج بدون سلاح تجاه ثورة العواطف وفقد الفجور طبيعته لان بعض اتفاقات وعادات اصبحت كافية لان تجعله شرعيًا وتصيره زواجًا شريفًا (٣

٣) لا عائلة حيث يكون طلاق ولذلك تنبه عقلاء المسلمين وفي مقدمتهم فضيلة مفتي الديار المصرية الاستاذ الشيخ محمد عبده وحضرة قاسم بك امين الى وجوب تحويل المراة المسلمة حق طلاق الرجل تخفيفًا لسلطته عليها ولكن اعطاء المراة حق الطلاق يجلب ضررًا عظيماً اذا بقي تعدد الزوجات امرًا مباحًا وهذا الضرر هو زيادة الزواج ضعفًا والعائلة انحلالاً . اما النساء المسيحيات الشرقيات فانهن مستريحات من آفة الطلاق واما النساء الغربيات فهن فئتان فئة تتزوج زواجًا كنائسيًا بعد الزواج المدني وهؤلاء لا طلاق عندهن الا في الحالة التي نص عليها الانجيل . وفئة تتزوج زواجًا مدنيًا من غير الزواج الكنائسي وهولاء يطلقن بحكم من المحاكم المدنية وما اجمل ما قاله جول سيمون في تحريم الطلاق وهو : « ان تحريم الطلاق » اي عدم قابلية الانحلال في الزواج « لا يقضي على الاباء باحناء اعناقهم تحت نير ثقيل في بعض الاحيان الا لتخفيف احمال الابناء والقاء تبعات الذنوب على الذين ارتكبوها دون سواهم » اي على الاباء الذين اذنبوا ذنوبًا توجب الطلاق لا على الاولاد الابرياء من تلك الذنوب هذه الحكمة في تحريم الطلاق والسر في وحدة العائلة

« واني احسب الطلاق اكبر ضربة تتهدد رباط العائلة بل ربما جاز لنا ان نقول انه الضربة الوحيدة التي يخشى منها »

فيؤخذ من هذا القول ان لا عائلة حيث يكون طلاق لان اقلّ اشارة من الرجل كافية في ثورة الغضب لنثر عقد العائلة

مساواة النساء بالرجال

ولكن ما راي الفيلسوف في وظيفة النساء ومساواتهن بالرجال · وكيف يريد ان تكون النساء · اسمعوا رايه ملخصاً بما يمكن من الايجاز (٤

« ان بعض النساء يحمسهن بعض من طالبي الشهرة من الرجال فمن ينادين بالمساواة بين الجنسين · ولكن ما المراد بكلمة « مساواة » فاذا اريد بها استواء الجنسين قيمةً وقدرًا فذلك بحث خارج عن موضوعنا · واما اذا اريد بها استواء الجنسين مشربًا وقوة فانه يجوز لنا ان نسمي هذا القول كفرًا لان الجنسين مختلفان عقلاً وجسدًا · والطبيعة وحدها سبب هذا الخلاف وليس للتربية والعادة من دخل فيه الا قليلاً · وحسبنا برهانًا على ذلك ان نربي فتاة تربية الفتيان ونربي فتى تربية الفتيات فلا يكون لنا منهما في ختام الامر الا مخلوقان قاصران لا يحسنان عملاً في هذا العالم

من مثل هذا فليحذر الذين يحسبون انهم يحتجون على العادات والشرائع بطلبهم للنساء حقوق الرجال مع انهم يجدفون على الطبيعة نفسها · وقد يذكر لنا المعترضون اسماء بعض النساء اللواتي ادرن البيوت التجارية وسسن الممالك احسن سياسة · ولكن هؤلاء النساء فضلاً عن قلة عددهن لم يُقمن البرهان على انهن حكمن بانفسهن دون الاستناد الى ذراع الرجل واقتفاء اثره · وهن يعتقدن ان الرجال لا يفهمون شيئًا كثيرًا من امور السياسة

٤) ان رأي الفيلسوف في هذا مناقض لرأي قاسم بك امين ولكن لعلّ قاسم بك قد تطرف في رايه عمدًا كما قال « المنار » المصري وذلك « لان الداعي الى شيء ينبغي له لاجل ارجاع من يدعوهم الى الاعتدال الذي هو الحق ان يقف على الطرف المقابل لما هم فيه لينتهي التجاذب بينهم وبينه الى الوسط ولو وقف في الوسط وجذبهم وجذبوه يخرج كل منهما عنه او يبقى في محله ولا فائدة في ذلك ومن هنا يقول الناس لا بدَّ من شيء من الباطل لاجل الوصول الى الحق » نقول وهكذا قالوا في الذين دعوا الى الاصلاح الديني في اوربا منذ قرنين وامامنا الآن تاريخ ادبي لاعاظم بقلم العالم المسيو « ديموجو » قال فيه « اننا لولا تطرفهم لما وصلنا الى هذا الاعتدال »

الا انهن من حسن الحظ يعتقدن انهن هن لا يفهمن منها شيئاً . واني لا اعرف في العالم شريعة تمنعهن من البحث في اصول السياسة والكتابة فيها ومع ذلك لم نرَ في العالم اجمع امراة غير مدام دي ستايل يصح ان تُعد بين كتبة السياسة . هذا مع ان كتابتها اقرب الى الفلسفة منها الى السياسة

اما الفلسفة فلي فيها راي قد يستغربه معاصريَّ وهو ان النساء يحببن الفلسفة وينجحن فيها اي ينجحن بحفظها اكثر من استيعابها . ولكن جميع اللواتي نبغن فيها كن مقلدات محتذيات . وما قلته في الفلسفة اقوله في الموسيقى فان المبتكرات المؤلفات في هذا الفن قليلات جداً فضلاً عن كونهن لا يُحسبن الا من الطبقة الثانية والثالثة . وكذلك فنُّ التمثيل . فانه ينبغ فيه الممثلات ويندر قيام المؤلفات . اما في الكتابة والانشاء (٥ فانهن الجياد التي لا تُبارى . واثباتاً لذلك لا اذكر مدام دي سيفينيه وغيرها من الكاتبات البارعات انما ارد المعترض الى رسائل السيدات . ولا بدع فان تلك البنان العنابية التي تسيل حلاوة وذلك الراس الجميل الذي يقطر شهداً وعسلاً جديران بان يجري منهما ما تهتزُّ له القلوب . والخلاصة انني اقول كلمة اجمالية تفصل المسالة فصلاً باتاً وتدل على استعداد كل واحد من الجنسين . وهي « لم ينبغ منهن مؤرخة قط ونبغ منهن راويات جارين الرجال وكدن يسبقنهم »

نقول والذي يؤخذ من هذا الحكم ان المراة اقوى في قلبها منها في عقلها خلافاً للرجل وهذا سبب مزدوج لضعفها وعذوبتها معاً

وظيفة المراة في الداخل

فاذا كانت هذه حالة المراة بالنظر الى الرجل فماذا تكون وظيفتها

وظيفة المراة ان تكون اماً قبل كل شيء فان ذلك مقدم في راي الفيلسوف على كل امر . يجب ان تحسن تربية اولادها اكثر من المراضع وتكون عالمة بشؤون المطبخ والمنزل اكثر من الطباخات والخادمات . وان يكون لها قاعة لاستقبال الزائرين

ولكن ما هي هذه القاعة . هذا مجال واسع اطلق الفيلسوف لقلمه العنان فيه فبسط في ثلاثة فصول متتابعة مراده بطلبه ان يكون للمراة قاعة لاستقبال الزائرين

قال « القاعة واسطة عمل للنساء . فهن فيها ومنها يحكمن قلوب البشر . اما الازواج

٥) الصناعة الوحيده التي يفوق فيها النساء الرجال

فما هم فيها الا بمثابة مساعدين ومستشارين » (٦
وفي مكان آخر « نقول ان القاعة ليست بمجتمع تُدار فيه كؤوس الشاي . ولا بمنتدى موسيقي للغناء . ولا بمكان يلعب الناس فيه ويتسلون . اذاً ما هي القاعة ؟ تسالني ما هي القاعة ؟ القاعة هي : « المحادثة »

« واني اعتقد انها مفقودة عندنا كلياً . ففي كل مكان تقريباً نرى النساء جالسات في جانب والرجال قياماً في جانب آخر اذا لم يكونوا في غرفة التدخين . هناك الكلام على اشياء باطلة كالذم والنميمة وهنا الكلام على الخيل او مجلس النواب . واذا حدث بين الفريقين مبادلة في الحديث كان ذلك لابداء راي في (الاقمشة) الجديدة التي على الطراز الجديد

ان قاعة المراة هي مصدر التمدن في العالم اذا كانت قاعة حقيقية . والقاعة الحقيقية هي مجالس يأتيها اصدقاء المنزل وجميع من لهم علاقة بالزوج من الرجال و بالمراة من السيدات فيقطعون اوقاتهم بالمسائل المفيدة والمفكهة معاً من ادبية وسياسية وفكاهية وعلمية وفلسفية . فهناك يتنافس الرجال ليظهر كل واحد فضله في هذه الامور الفاضلة امام النساء وتتنافس النساء لتظهر كل واحدة معرفتها وادبها وفضلها امام الرجال . فتكون القاعات التي على هذا المنوال مدرسة سامية وحَكَماً عظيماً في الذوق وفي كل الامور . القاعات حينئذٍ ترقي الى مرتبة الوزراء . القاعات ترفع الى عضوية الاكاديمي . القاعات تنشر شهرة كل مستحق وتقلص شهرة غير المستحق . وفيها السيدات ملكاتٌ جالسات على عرش الادب يرأسن الحديث بلطف وظرف واذا خرج واحد من الرجال في حركة او اشارة او كلمة عن حد الادب او الحشمة فان الواحدة منهن على لطافتها وضخامته وضعفها وقوته قادرة على ارجاف قلبه في صدره بكلمة واحدة ونبذه من الهيئة باشارة واحدة

« على ان هذا الوجل وجل القوة تجاه الضعف احدى مفاخر التمدن ومآثره . لان المراة الضعيفة التي انتصرت على ذلك الرجل الضخم القوي هذا الانتصار انما كان انتصارها على الرذيلة نفسها . وهو انتصار لا نرى بدّاً من استعارة كلمة لملبرانش لاظهار فضله . وربما كنتم لا تعرفون من هو ملبرانش . ان ملبرانش هذا هو لاهوتي شهير اعتاد خصومنا ان يقولوا عنه انه الفيلسوف الوحيد الذي نبغ عندنا غير ذاكرين انهم يخاطبون مواطني « ديكارت » العظيم . وقد اراد هذا اللاهوتي شرح تاثير العقل على الجسد فتخيل اسلوباً

٦) قاعة المراة مصدر للمدنية راجع فوق ما يقوله الفيلسوف عنها

ينفي ذلك التاثير . فقال ان الجسم متسلط وحده على الجسم وان النفس اذا ارادت امراً فلا توءثر ارادتها في الجسم قطعياً . فاذا تحركت رجلاي للمشي لم يحركها عقلي ولكن الله هو الذي امرها بالحركة لان الله مصدر كل قوة وحركة . وما نحن الا آلات تديرها قوته الوحيدة . ثم استطرد ملبرانش الى قوله « وبما اننا نستخدم قوة الخالق العظيم فلنحذر اذاً من اضاعة تلك القوة الشريفة او استخدامها لامور لا تستحق ان ينظر الخالق اليها »

« وهكذا اقول انا للنساء « بما انكن تستطعن ان تكنّ ملكات الذوق والمتسلطات على الاخلاق التي يمكن بها تلطيف خشونة الرجال فالحذر الحذر من اضاعة هذه القوة التي في ايديكن او استخدامها لما ليس فيه نفع لكن وللهيئة الاجتماعية . استخدمن هذه القوة العظيمة لحماية الضعفاء وتاييد العدالة ونصرة الاستقامة . أسمعن صوت الشرف على الاقل الى اولائك الذين لا يسمعون صوت الفضيلة . حاربن الرذيلة بكل قوى الطهارة والفضيلة . ولا تجعلن الفضيلة نافرة شديدة الوطأة فانها زهرة لطيفة محبوبة . وانصحكن ان تكنّ صارمات غير متساهلات في شيء مما يختص بالادب لان كل تساهل يقع منكن يفضي الى خفض منزلتكن »

ولكن ما معنى قول الفيلسوف « الحذر من اضاعة هذه القوة التي في ايديكنّ » معناه ان النساء يجب ان يبقين نساء ولا يطمحن الى اعمال الرجال . فانهن اذا اردن مجاراة الرجال في اعمالهم ولا سيما الاعمال السياسية صار الرجال يعاملونهن معاملة الاقران والاكفاء لا معاملة السيدات فيزول احترامهم وخضوعهم لهن . وبذلك تفقد النساء قوة لا تعوض (٧ وهيهات ان يبلغن شأو الرجال في ما اقدمن عليه من الاعمال

وهنا استشهد الفيلسوف على صحة كلامه بقصة بسطها في فصل عنوانه « المراة المحامية » وخلاصته ان اميل احب اميلي حباً شديداً فاقترن بها (٨ وكان اميل محامياً بارعاً واميلي فتاة بسيطة عاقلة . فعاش العروسان عيشاً هنيئاً ورزقهما الله غلاماً وابنة . فلما شب الولدان اراد الاب ان يدرسهما المبادىء الاولية ولكن وقته كان ضيقاً فعهد ذلك الى امراته فاخذت تدرسهما وتدرس معهما حتى ارتقى ذوقها وكثرت معارفها واصبحت ذا ميل شديد للمطالعة فتوسعت في القراءة والدرس حتى ارتقى فكرها واصبحت محامية كزوجها ومن هذا

---

٧) العجب من النساء كيف يطلبن المساواه بالرجال مع ان لهنّ السياده عليهم

٨) دليل على تعاسة المراة والعائلة اذا اعطي النساء الحقوق السياسية

الخين بدأ النفار بينهما · فانها كانت من قبل بسيطة تسلم بكل راي يراه زوجها ولا يهمها شيء غير منزلها · واما الان فانها اصبحت عالمة تجادل زوجها في كل الامور ولا تسلم الا بما يقتنع به عقلها · ومما زاد الطين بلة انها ارادت تعليم ابنتها فن المحاماة فعارضها اميل في ذلك فاتسع الخرق بينهما · وكان من رايه ان المراة لا يجب ان تتداخل في الامور السياسية اما اميلي فكانت ترى عكس هذا الراي ولذلك انحازت عن اميل الى خصومه السياسيين فعيره بعضهم بذلك فغضب اميل وطلب مبارزته فبارزه وجُرح اميل في هذا البراز جرحاً جعل حياته في خطر

فلزمت اميلي فراشه وقد انتبهت في نفسها محبتها الاولى له · ولكن عنايتها به لم تجدِ نفعاً فتوفي اميل بين ذراعيها مخلفاً لها حسرة عظيمة لانه مات في سبيل الدفاع عن شرفها · وقد ندمت اميلي على ما صنعته فلزمت السكينة بعد موت زوجها وعاشت مع ولديها عيشاً بيتياً هادئاً · وكانت تقول كلما سمعت النساء يتباحثن في حقوق المراة « ما احمقهن يجب ان نبقى نساء » ولما توفيت اوصت ابنتها هذه الوصية « يا ابنتي المحبوبة اذا رمتِ ان تكوني سعيدة فاحبي كل الذين حولك واجعليهم سعداء »

والمراد بهذا المثل اظهار ان المعيشة العائلية ونيل النساء الحقوق السياسية نقيضان لا يجتمعان فيجب على النساء ان يبقين نساء اي امهات وزوجات

وظيفة المراة في الخارج

ولكن هل هذه هي كل وظيفة المراة في راي الفيلسوف

اذا كانت المراة تحسن تربية اولادها وتدبير منزلها وارضاء زوجها واستقبال زائريها هل تكون بذلك قد قامت بكل الواجبات التي عليها

كلا فان هذه واجباتها الداخلية فقط بقيت عليها الواجبات الخارجية · وهي اولاً ان تتعلم عملاً تكسب به رزقها ورزق صغارها اذا مات زوجها او هجرها او اصيب بمرض · يجب عليها ان تتعلم عملاً وان كانت غنية عنه بثروتها فان زوابع الزمان اذا هبت جعلت الاغنياء فقراء والفقراء اغنياء · فماذا يكون مصير المراة التي يموت زوجها و يترك لها اولاداً صغاراً على يديها اذا كانت فقيرة او اذا نفدت ثروتها ؟ اتلجأ الى الشحاذة

وتاييداً لهذا القول كتب الفيلسوف في كتابه فصلاً عنوانه « الوحشة في باريز » قص فيه قصة امراة عرفها فراينا من الفائدة ان نختصرها هنا · قال

« كان لي في باريز صديق مصور نال في بضع سنوات شهرة عظيمة حتى اصبح ذكره

في كل لسان وصار يربح من صناعته ارباحاً طائلة (٩ فلما رسخت شهرته اقترن بفتاة جميلة مثله فرزق منها ثلاثة اولاد وكان يعيش معها عيشاً فاخراً ينفقان فيه كل ما كان يكسبه من صناعته · ففي ذات يوم توفي الزوج فجأة من غير مرض ولا علة ظاهرة فقامت قيامة العالم الباريزي لان هذا المصور كان محبوباً فيه ومشهوراً فتقاطر المعزون على منزله من كل صوب لمشاركة زوجته في مصابها العظيم · وفي الحقيقة ان مصابها كان عظيماً لان زوجها كان لا يملك شيئاً · فباعت اثاث منزلها وحملت اولادها وذهبت بهم الى منزل صغير في احد الاحياء المجهولة لتسكن فيه بعيدة عن انظار رفيقاتها القديمات · ولكن المال الذي كان لديها ما لبث ان نفد فباعت حللها وملابسها حتى آخر حلة لها وانفقت ثمنها على اطعام اولادها · ثم خلت يدها فسالت نفسها ماذا تعمل · وكانت لا تحسن عملاً فخطر لها ان تجعل نفسها معلمة للبيانو ولكنها لم تجد تلميذات لها · خطر لها ان تكتب الى رفيقاتها تطلب مساعدتهن ولكن لم يجاوبها احد منهن على كتابها لانهن نسينها · فذهبت خائفة مضطربة وعرضت نفسها للعمل في المعامل والاستخدام في البيوت التجارية فكانوا يردونها بخشونة لاساءتهم الظن بها بسبب خوفها ولعدم وجود شهادات معها · فاصبح اولادها في اثناء هذه المدة يتضورون جوعاً · فقهرت هذه المسكينة نفسها وذهبت في احد الايام الى بيت الاحسان تطلب صدقة لاولادها فلم يعبئوا بها في هذا البيت وانما تصدقوا عليها بعشرة فرنكات · فاخذتها وذهبت لتشتري بها خبزاً لاولادها فدرت بها صاحبة المنزل فاخذت العشرة الفرنكات منها بالرغم عنها لانها كانت مديونة لها باجرة الغرفة · وكان اولادها في اثناء ذلك ينادونها في خروجها ودخولها « اماه نريد خبزاً » فتضمهم اليها وتعللهم حتى يتعبوا من النداء وينامو · وفي اليوم التالي عادت الى بيت الاحسان فردوها فضاقت الدنيا بها فسقطت على حاجز في الطريق فاقدة القوى واخذت تبكي · ثم اتفق مرور راهب من هناك فركضت اليه صارخة وهي تمد يدها « خبزاً خبزاً لاولادي » فوضع الراهب في يدها نصف فرنك فعادت وابتاعت به خبزاً لاولادها فنام الاولاد في هذه الليلة دون ان يبكوا · ثم انها وجدت منزلاً يحتاج الى خادمة باجرة قدرها ٣٠ فرنكاً في الشهر فدخلت فيه · قال جول سيمون · وفي ذات يوم وانا خارج من هذا المنزل نظرتني فعرفتني اما انا فلم اعرفها الا من فرارها من وجهي · فبادرتُ في الحال الى اخراجها من هذا المنزل لانقاذها

٩) برهان على وجوب تعلم المراة عملاً تعمله في آن الضيق والا عرضت نفسها واولادها للموت جوعاً

من عار الخدمة ثم وضعت اولادها في المدرسة »

فهذه المراة قد عاينت مع اولادها الموت عن كثب اولاً لاختلال نظـام الاحسان وثانياً لانها لم تتعود الجرأة ولم تتعلم عملاً تعمله · وانظروا البون الذي بين هذه المراة و بين امراة اخرى ذكر الفيلسوف قصتها في فصل عنوانه « العاملة » قال ما خلاصته(١٠) كان رجل نشيط حداد يعمل في معمله ويكسب بعرقه خبز عائلته وكان له امراة نشيطة نبيهـة واولاد صغار · ففي ذات يوم توفي الرجل فجأة فصارت المراة ارملة والاولاد ايتاماً

الا ان المراة كانت ارملة تعرف ما عليها من الواجبات وتحسن القيام بها فلم تضع دقيقة واحدة سدى بل جعلت نفسها في الحالـ خياطة لانها كانت قد تعلمت الخياطة احتياطاً لمصائب الدهر واخذت مع ابنتها تخيط الملابس التي يؤتى بها اليها فنجحت في ذلك لبراعتها وطيب صيتها · وبناء عليه استطاعت تربية اولادها والقيام بنفقاتهم حتى كبروا وصاروا رجالاً يشتغلون مثلها ونمت عائلتهم نمواً مباركاً كان سببه تلك الام النشيطه المباركة

فينتج من كل ما تقدم انه يجب على المراة ان تستعد للعمل · وهذه حجة من اقوى الحجج التي ذكرها قاسم بك على وجوب تربيه المراة تربية تمكنها من العمل عند الحاجة

هذا هو الواجب الاول من واجبات المراة في الخارج · بقي عليها واجبان آخران في راي الفيلسوف (١١) الاول " الاعمال الخيرية " فانه يجب على كل سيدة ان تصرف كل يوم ساعة او ساعتين من وقتها في عيادة المرضى وتعزية المصابين وافتقاد الفقراء والاحسان اليهم · والواجب الثاني وجوب السهر على آداب الملاعب والحكم على الروايات · وهذا الامر يفهمه اهل الغرب اكثر من اهل الشرق · ومراد الفيلسوف به ان الروايات التمثيلية كثيرة في الغرب فعلى النساء ان لا يجعلن رواية تنجح وتنال شهرة بعيدة الا اذا كانت من الروايات الادبية المهذبة التي تستحق هذه الشهرة · ذلك ان شهرة الروايات لا تتوقف في الحقيقة على حكم الكتّاب فيها ولا على انتقاد منتقديها ولا على استحسان الجمهور اياها ولكن على شهادة النساء لها · فمتى انتصرت النساء لرواية وشهدن لها نالت هذه الرواية فوزاً مبيناً وشهرة بعيدة · ومتى اردن اسقاط رواية اسقطنها لا محالة · فمن واجباتهن اذاً مقاومة

---

(١٠) برهان آخر ايجابي مثبت لذلك

(١١) واجبان خارجيان آخران على النساء واحد يفهمه الشرقيون و واحد لا يفهمونه

الروايات المضرة ومساعدة الروايات الادبية لما يترتب على ذلك من حفظ الاداب العمومية

الخاتمة

هذا ما راينا تلخيصه من كتاب « المراة في القرن العشرين » بيانًا لوظيفة المراة في العالم كما قررها الفيلسوف جول سيمون وقد لخصنا في ما تقدم مقالات عديدة من هذا الكتاب وربما عدنا اليه في فرصة اخرى واذا قيل ان ما قاله فيلسوف الجامعة ينطبق على نساء الغرب لا على نساء الشرق لان الفرق بين حالة الفئتين عظيم قلنا ان الفرق بين حالتهما عظيم في الجزئيات لا في الكليات فان النساء نساء في الشرق والغرب اي مربيات وممدنات ومعزيات

الصواعق ونوادرها

نقلاً عن الفلكي الفرنسوي الشهير كاميل فلامريون

في الطبيعة اسرار كثيرة استجلى الانسان شيئًا منها وفاتته منها اشياء . ومن جملة المسائل الطبيعية التي لم يقف الانسان على كنهها بعدُ مسالة الصواعق ووقوعها بل مسالة تكون الصاعقة نفسها . فانك اذا سالت العلماء ما هي الصاعقة اجابوك ان الصاعقة تنشأ عن التقاء مجرى كهربائي سلبي بمجرى كهربائي ايجابي . ولكن سلهم ما هي الكهربائية نفسها وما هو تركيبها . تجد العقلاء منهم يسكتون ويقولون ما قاله ابن الاثير في مقدمة تاريخه الكامل « ولا اقول ان الخطأ سهو جرى به القلم بل اقول ان ما اجهل اكثر مما اعلم »

وهكذا قال العالم كاميل فلامريون الفلكي الفرنسوي الشهير في صدر مقالة عن الصواعق ونوادرها . ولو كان الفصل الآن فصل الشتاء لضربنا صفحًا عن هذه المقالة مخافة ان تؤثر في نفوس البسطاء والجبناء الذين كلما سمعوا لعلعة الرعد فوق منازلهم في بعض الليالي حُرموا لذة النوم خوفًا وفرقًا . اما الآن وقد ذهب فصل الشتاء وزالت البروق والرعود فلا نرى مانعًا من ذكر النوادر التي ذكرها فلامريون عن وقوع الصواعق فانها بمكان عظيم من الفكاهة والاهمية وهي تدل على ان العلماء لم يقفوا على ماهية الصاعقة وطبيعتها الى الآن

قال فلامريون . مضى علي ثلث قرن والحكومة الفرنسوية تلقي اليَّ في كل عام احصاء الحوادث التي تحدثها الصواعق في فرنسا . وفي كل عام اجد في هذه الحوادث امورًا

مدهشة غريبة

واول شيء اقوله ان وقوع الصواعق غير منتظم في كل الاقاليم على نسبة واحدة . فان الصاعقة اشد ما يكون وقوعها في اقاليم بوي دي دوم وهوت لوار وسون ولوار والاقليم الشمالي . واقل ما يكون وقوعها في اقاليم المانش واورن وكلف دوس وموربيهان واردين اما باريز فقلما تقع الصواعق فيها ولو كان الاقدمون يعاصروننا الآن لاستنتجوا من ذلك ان جوبيتير راضٍ عن باريز ولذلك لا يرشقها بناره

(ذلك ان اليونان والرومان المتقدمين كانوا يحسبون الصواعق من نار جوبيتير يرمي بها المكان الذي يسخط عليه في الارض . وكانوا يعتقدون ان الاله فولكان هو الذي يصنع الصواعق لابيه جوبيتير . وكان فولكان في تقاليدهم حداداً)

ومن جملة النوادر الكثيرة التي للصاعقة ان جندياً في اقليم اود كان يسير في طريقه في ١٧ اغسطس الماضي فوقعت الصاعقة عليه فحملته والقته مسافة ٥٠ متراً فلما بلغني هذا الخبر كتبت اليه اساله التفصيل فاجابني انه كان سائراً في مدينة بروس بعد هبوب زوبعة شديدة فما شعر الا وقد حُمل عن الارض والقي مسافة بعيدة دون ان يرى برقاً او يسمع رعداً او يشعر بريح . وبعد سقوطه نهض فوجد نفسه سليماً معافىً فسار في طريقه

فيؤخذ من هذه الحادثة ان الصاعقة لا تقتل دائماً . ولدينا امثلة كثيرة على ذلك . منها ان رجلاً كان سائراً على طريق فالروى في ١١ اغسطس من عام ١٨٥٥ فنزلت عليه الصاعقة فعرّته من ملابسه وغادرته بلا حس ولا حركة . غير انه عاد الى صوابه بعد مدة فوجد نفسه عارياً والبرد يقرصه دون ان يذكر شيئاً مما جرى

ومنها ان زارعين كانا ياكلان في ٢٦ اغسطس الماضي في كوخ في سوليس بونت لجئا اليه فراراً من المطر والزوبعة . وكان امامهما بساط الطعام ممدوداً فجاءت الصاعقة فاختطفت ما عليه من الخبز والجبن والاثمار وزجاجة الخمر وقذفت الفلاحين بقش كثير فبادر الفلاحان الى الفرار دون ان يصيبهما سوء

ولكن ما كل مرة تسلم الجرة . فانه من المعلوم ان اكثر ما يكون وقوع الصاعقة على الذين يلجئون الى الاشجار ويقفون او يجلسون تحتها اتقاء المطر او الريح . ولذلك يجب اجتناب الاشجار في الزوابع حين اشتداد البرق والرعد . ومن الامثلة التي تؤيد ذلك ان حصاداً كان جالساً هو وكلبه تحت شجرة فمد قطعة خبز الى كلبه فبقيا جالسين كما كانا يد الحصاد ممدودة بقطعة الخبز وعنق الكلب ممدودة لاكلها ولا حياة في الاثنين

ومرّ بضعة رجال في ذات يوم مكفهر برجل جالس تحت شجرة وهو ملتهب الجسم فصاحوا به . مالك واقف اخمد النار من جسمك الا تراها . فلم يجبهم الرجل فدنوا منه وهزوه فوجدوه رماداً

وفي ٥ يوليو من عام ١٨٨٣ كانت امراة تتنزه في مرج في بوفون بازاء بقرتين . فجاءت الصاعقة فصهرت القرط الذي كان في اذنها وقتلت البقرتين . اما المراة فلم يصبها اذى . ومن المعلوم ان الذهب لا يُصهر الا بحرارة درجتها ١٠٣٠ والفضة ٥٩٤ والنحاس ٩٤٠

ونزلت الصاعقة في ذات يوم في مدرسة للبنات في بوردو فقطعت عقداً ذهبياً كان في عنق احدى المعلمات فاغمي على المعلمة ولكنها انتبهت بعد ٦ ساعات دون ضرر ولا اذى

وفي يونيو من عام ١٨٦٧ نزلت الصاعقة على كنيسة في دنسه فدخلت المذبح واختطفت الجسد المقدس من الكاس المقدسة . وعلى ذكر الامور المقدسة نقول ان نوادر الصاعقة بهذا الشان غير قليلة . وقد بحث الدكتور جودين في حوادث الصاعقة فقال فيها قولاً يُستفاد منه انه يعتقد بان للصاعقة روحاً تدبر سيرها و وقوعها كالروح التي قال بعضهم بوجودها في النبات بناء على ما رآه من ميل بعض انواع النبات الى امور مخصوصة كميل نبات شاهده فلامريون بعينه لطلب التربة الجيدة دون سواها وارسال جذوره الى مكان فيه ماء بئر . ولم يقل فلامريون بان للصاعقة روحاً ولكنه قال ان بعض نوادرها وخصوصاً فيما يختص بالامور المقدسة تجعل امرها مستغرباً جداً . من ذلك ان مدام شوفين من سكان مرسيليا سالت زوجها في فبراير من عام ١٨٩٧ ان يوقد الشمعة امام الايقونة لان الزوابع كانت شديدة في الخارج فنهض الزوج لانفاذ امر امراته ولكنه ما كاد يشعل الشمعة حتى جاءت الصاعقة وصعقت مدام شوفين فاماتتها وتركتها تحترق

وكان فلاح وامراته في اقليم اورولوار يشتغلان بجمع المزروعات في الحقل وبجانبهما ابنتهما الوحيدة وعمرها ٩ سنوات واذ هبت بغتة زوبعة شديدة نخافت الابنة وطلبت من ابويها ان يعودا بها الى البيت فانظراها قليلاً حتى يتما عملهما فاجابت الابنة : اسرعا اذاً وانا اصلي الى الله ان يبعد الصاعقة عنا . ثم جثت على الارض وضمت يديها واخذت تصلي و بعد برهة شعر الاب بان هشيم الزرع يتحرك حركة شديدة تحت قدميه فالتفت فابصر الابنة ملقاة بلا حراك فهزها فاذا بها ميتة وقميصها الداخلية محترقة كأن الصاعقة

دخلت منها

وفي ٢٢ يوليو من عام ١٨٦٨ كانت امراة في جيين حاملة بيدها زجاجة من الماء المقدس وهي تقصد رش المنزل به لابعاد الصاعقة عنه واذا بالصاعقة قد نزلت على حين فجأة فكسرت الزجاجة وتركت المراة سالمة

ومن نوادرها ايضاً ان ابنة في دمبيير كانت تخيط حلة لها بازاء آلة الخياطة وبيدها مقص فنزلت الصاعقة واختطفت المقص من يدها دون ان تؤذيها

وفي ذات يوم عصفت في بونيون زوبعة شديدة فظهرت في قمة شجرة من الصفصاف كرة نارية بقدر التفاحة ثم اخذت تهبط من غصن الى غصن حتى بلغت الارض فسارت حينئذ متدحرجة فبلغت مزرعة قريبة من هناك • وكان امام باب المزرعة ولدان يلعبان فدنا منها احدها ورفسها بقدمه فانفجرت حينئذ انفجاراً هائلاً القى الولدين على الارض دون ان يؤذيها ولكن قُتل ١١ راس من الماشية كانت في زريبة قريبة

فليفسر العلماء هذا الامر الغريب • فان الولد مس الصاعقة دون ان تؤذيه والماشية ماتت بها دون ان تمسها

وقد ذكر الدكتور سستيه في كتابه « الصاعقة » ان امراة تنكرت في ملابس رجل فباغتتها الصاعقة على الطريق فعرّتها من جميع ملابسها حتى اضطر الناس الى احضار غطاء ولفها به لستر جسمها واخذها الى بيتها

وللصاعقة نوادر كثيرة من هذا القبيل كأنه يطيب لها ان تعري الناس من ملابسهم لتهزأ بهم • من ذلك ان فلاحاً كان يشعل سيكارته قرب شالون سيرسون في شهر يوليو من عام ١٨٩٦ فجاءت الصاعقة وقتلته في الحال وعرته من ملابسه كلها

وكان اربعة من الجنود في اعلى سواري السفينة دودناي فجاءت الصاعقة وقتلت منهم اثنين وعرتهما من ملابسهما

وقد روى اراغو ان عاملاً كان يعمل في منزله فقتلته الصاعقه والصقت قطع قبعته في سقف المنزل • وروى بيوت ان رجلاً طارت قبعته عن راسه دون ان يشعر باقل نسمة هواء • وروى شبسال ان راعياً كان يخرج بمنديله الفضول من انفه فانخطف المنديل من يده ولم يقف له على اثر وكان الهواء ساكناً

وروى كثيرون عن الحصادين انهم بينما هم يحصدون الزروع تُختطف المناجل بقوة من ايديهم وتُلقى بعيداً

وروى غيرهم ان امراتين كانتا تخيطان واذا بالصاعقه قد جاءت فاختطفت الابرتين اللتين في يديها

ونزلت الصاعقة في ذات يوم على سفينة فقتلت رجلاً و بينما هم يفتشون ملابسه وجدوا ان ساعته وسلسلتها قد اصبحتا كتلة واحدة

وروي ايضاً ان الصاعقة اصابت بعض البنادق المحشوة رصاصاً فاذابت الرصاص الذي فيها ولم تلهب البارود . وفي ذلك منتهى العجب

وقد تنزل الصاعقه على قاعة منارة بشموع كثيرة فتطفئها دفعة واحدة كما انها تنزل على قاعة مطفأة الشموع فتوقدها كلها دفعة واحدة

وقد ذكرنا فيما تقدم ان اكثر ما يكون وقوع الصاعقة على الاشجار لان الاشجار تجتذبها . الا ان كثيرين من العلماء يزعمون ان بعض الاشجار تدفع الصاعقة عنها لوجود كهربائية سلبية فيها كشجرة الغار مثلاً على ما ورد في الكوخ الهندي الصفحة ٥٨٣ من هذا الجزء

ولكن الصاعقة مع قوتها وجهل الانسان لطبيعتها قد صارت بقوة العلم تحت سيادة الانسان وسلطته . وذلك ان العلم اخترع لها قضيباً يقي المدن والمنازل من شرها وهو القضيب المعروف « بقضيب الصاعقة » لانه يصرف شرها عما حوله . فما اعظم الانسان مع جهله

القطن الاميركي والمصري

مصدر زراعة واسعة وصناعة عظيمة

شجرة اخرى تمدن الشعوب . القطن الاميركي وطريقة زراعته وجنيه وكبسه . وطن القطن تاريخه القطن المصري واهمية زراعة القطن في العالم . في السردان المصري . وفي الاملاك العثمانية

قال علماء الاجتماع : انك متى رايت الفلاح في القرى قد اخذ يهتم بغرس الازهار ووضعها في نافذة بيته او كوخه فاعلم ان انقلاباً عظيماً حدث في نفسه . ذلك لان نفسه تكون قد اخذت تتجه نحو حب الجمال . وحب الجمال من اول اسباب التمدن والعمران

وما قيل في الزهرة يقال في الشجرة ايضاً . فانك متى رأيت الفلاح يهتم باشجار ارضه او بنباتها اهتمامه باولاده الذين يربيهم و يغذوهم فاعلم انه قد عُقد بينه و بين الارض

ميثاق شديد ليس في الوجود شيء قادر على فكه . وهذه هي الخطوة الاولى التي تخطوهـا الشعوب في سبيل المدنية . فانها تدل على انتباه نفس الفلاح الى حاجاتها وعلى شروعه في فهم اللغة الطبيعية البسيطة التي تخاطبه الارض بها . لغة تدعوه بها الى سقيها لتسقيه والى اطعامها لتطعمه والى تزيينها لتزين نفسه ومنزله ووطنه وتدر اخلاف الثروة عليه

وقد ذكرنا في احد الاجزاء السابقة شجرة من هذه الاشجار التي لها ذلك التاثير العظيم في العالم وهي شجرة التوت وسميناها هناك « ممدنة الشعوب » والآن جئنا نتكلم عن شجرة اخرى تساويها في عظمتها الزراعية والصناعية والعمرانية ونريد بها « شجرة القطن »

فان هذه الشجرة عنصر من اشد عناصر التمدن الحاضر وسبب من اكبر اسباب السعة والرزق في العالم . فان ملايين من الزراع يعيشون من زراعتها وملايين من التجار يعيشون من التجارة بقطنها وملايين عديدة من الصناع يعيشون من غزل هذا القطن ونسجه وملايين من المتجرين يعيشون من بيع انسجته في جميع اقطار العالم . والبلاد المصرية بعد اميركا في مقدمة البلاد التي تزرع القطن . بل هي مقدمة على اميركا نفسها من حيث ان القطن هو زراعتها الوحيدة ومورها الاكبر خلافاً لاميركا التي تزرع كثيراً من الانواع الاخرى

﴿ القطن الاميركي ﴾ والقطن انواع اهمها المصري والاميركي والهندي . والاميركي انواع ايضاً ولكن اهمها واعمها النوع الذي يسمونه في الصين « القطن الذي يسد مسد الكتان والحرير » وهو شجيرة حولية اي تنمو وتموت في الحول الواحد علوها ٦٠ سنتيمتراً وساقها قوية مائلة الى الاصفرار او الاحمرار وفيها نقط سود كثيرة واغصانها قصيرة . اما اوراقها فهي ذات خمسة اقسام قصيرة واسعة مستديرة وفيها راس صغير وزهرها مائل الى الاصفرار . ومتى انقضى دور الزهر تتحول الازهار الى جوزات خضراء ضمن الواحدة منها من ٣ الى ٧ بذور وهي بذرة القطن . ولما تنضج هذه الجوزات تتمدد الياف ناعمة بيضاء في داخلها فتنفجر الجوزة وتظهر الالياف وهي القطن . فيكون نظار الحقل حاضرين لالتقاط هذا القطن حين انفجار الجوزة وهم يقيمون على مراقبة الحقول اشد مراقبة قياماً بهذا العمل في حينه لانه اذا فات الوقت تنفصل البذور التي في الجوزة عن اصول الالياف القطنية فتسقط البذرة على الارض وتحمل الريح الالياف ذاهبة بتعب الزارع

ومتى جني القطن ببذرته ارسل الى آلة الحلاجة لفصل البذرة عن الالياف و بعد ذلك يجمعونه في بالات ويحكمون ضغط هذه البالات (كبسها) ثم يرسلونها الى اسواق الغرب لتباع فيها الى الغزالين والنساجين

وطريقة زراعة القطن عندهم ان تقسم الارض اقساماً مساحة كل قسم منها نحو ١٠ فدادين ثم يغرسونه فيها صفوفاً ويجعلونه بعيداً بعضه عن بعض مسافة عشرة امتار وينقون الاعشاب من تحت الشجيرات مرتين قبل الازهار . وبعد جني القطن منها ينقون العشب عنها للمرة الاخيرة ثم يقطعون الشجرة على طول قدم واحد عن الارض فربما عاشت بهذه الطريقة من ٥ الى ٦ سنوات

ويقدرون حاصل الولايات المتحدة من القطن في كل عام من ٨ الى ١١ ملايين بالة واليك بيان حاصل احدى السنوات الماضية في جميع الولايات الاميركية :

ولايه تكساس	٢١٠٠٠٠٠	بالة
ولاية لويزيانا	٦٠٠٠٠٠	بالة
ولاية مسيسيبي	١٢٥٠٠٠٠	بالة
ولاية الاباما	١٠٧٥٠٠٠	بالة
ولاية جيورجيا	١٨٢٥٠٠٠	بالة
ولاية فلوريده	٧٧٠٠٠	بالة
ولاية كارولينه الجنوبية	٦٧٥٠٠٠	بالة
ولاية كارولينه الشمالية	٤٧٥٠٠٠	بالة
ولاية اركانساس	٨٢٥٠٠٠	بالة
ولاية تنيسه	٤٥٠٠٠٠	بالة
المجموع	٨٦٥٢٠٠٠	

اما في هذا العام فانهم يقدرون المحصول الاميركي من ٩ ملايين الى عشره ملايين بالة والاختباط شديد جداً بين المضاربين في هذا الشان مما لا محل للكلام عنه في هذا المقام

✱ وطن القطن وتاريخه ✱ اما البلاد التي كان القطن اول ما نبت فيها في الهند واواسط افريقيا واميركا . فان الاسبانيين حين دخولهم الى كوبا ايام اكتشاف اميركا وجدوا الاهالي فيها وفي المكسيك وبير ويلبسون ثياباً مصنوعة من القطن وقد فهموا منهم ان شجرة القطن تنمو في بلادهم من قرون عديدة لا يعرفون اولها

اما في افريقيا وآسيا فان المصريين والاشوريين وغيرهم من الشعوب التي تليهم لم يكونوا يعرفون زراعة القطن في ايام المؤرخ هيرودوتس اي في القرن الخامس قبل التاريخ

المسيحي . ولم تدخل تجارة البضائع القطنية الى غربي آسيا ومصر الا في القرن الثاني قبل الميلاد . وقد ادخلها اليها تجار العرب الذين كانت هذه التجارة في ايديهم وكانوا يستوردونها من باريكاتزا في شمالي بومباي (الهند) ويأتون بها الى ميناء ادوله على البحر الاحمر . ومن هذه الميناء كانت تتوزع في بلاد اليونان وايطاليا . ولكن هذه التجارة كانت ضعيفة لعدم ذكر المؤرخين لها

ولم يأت القرن الثامن بعد الميلاد حتى شرع العرب في انشاء المعامل لنسج القطن في شمالي افريقيا والولايات الاسبانية الجنوبية . فكانوا اول من ادخل هذه الصناعة اليها . وقد انشأوا المعامل الاسبانية الاولى في سيفيل وكوردو وغرناطه وقد نمت معامل غرناطه نموًا عظيمًا حتى وصلت منسوجاتها في القرن الرابع عشر الى اقاصي آسيا فكان الاسيويون يفضلونها على المنسوجات الواردة من المعامل الشرقية كالهند وغيرها

وفي هذا القرن (الرابع عشر) انتشرت تجارة القطن في الصين ومكدونيا والبانيا وايطاليا وكان مستودعها الاكبر في البندقية وميلان ومنها دخلت الى انكلترا على يد البندقيين والجنويين الذين كانوا من ملوك البحار في ذلك الزمان

ولما دخل القطن الى انكلترا حار الانكليز في استعماله فاقتصروا في بدء الامر على اتخاذه للفتائل فقط . ولكن النساجين في شستر ولنكستر خطر لهم في عام ١٤٣٠ ان يستعملوه للنسيج فافلحوا بذلك وانشأوا منه صناعة عظيمة ولم يأتِ القرن السابع عشر حتى انتشرت صناعة نسجه في كل مدينة وكل قرية من المدن والقرى الانكليزية تشغيلاً للفقراء والذين لا عمل لهم

وكانت المعامل الانكليزية مقتصرة في ذلك العهد على النسج من القطن الشرقي لانه لم يكن قد وردها بعد شيء من القطن الاميركي . ففي عام ١٧٧٤ وردت من جزائر الانتيل البالات الاولى الاميركية وكانت تُعد بالعشرات فقط فكاد الجمرك الانكليزي يضبطها لاعتبارها بضائع مهربة . ذلك ان انكلترا كانت تخاف على القطن الهندي من مزاحمة القطن الاميركي وكان خوفها في محله كما اثبتته الحوادث التالية

ثم امتدت زراعة القطن في اميركا امتدادًا سريعًا فتكاثرت هذه المادة عن حاجة المعامل لان النسج كان يومئذٍ باليد . ولكن من النواميس الطبيعية انه متى مست الحاجة الى اختراع ظهر هذا الاختراع عاجلاً او آجلاً على يد عمرو او على يد بكر لان الارتقاء لا يوقفه شيء . فيومئذٍ اخترعت آلات النسج الميكانيكية فطفرت زراعة القطن في

العالم طفرة عظيمة واصبحت صناعة نسج القطن اعظم صناعات النسيج على الاطلاق

ومع ذلك لم تكن آلات النسج الميكانيكية كافية وحدها لابلاغ هذه الزراعة والصناعة المبلغ الذي بلغته في هذا الزمان لان حلج القطن اي فصل بزرته عن اليافه كان يتم باليد في بدء الامر فكان العامل الهندي لا يستطيع في نهاره ان يحلج بيده اكثر من ليبرة واحدة من القطن فمست الحاجة الى اختراع آلة ميكانيكية للحلج فاخترعت هذه الآلة وبها بلغت صناعة القطن وزراعته هذا المبلغ المظيم من الارتقاء

﴿ القطن المصري ﴾ قلنا ان القطن لم يكن معروفاً في ايام هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد ولكن المصريين جاؤوا به بعد ذلك من اواسط افريقيا وزرعوه ولكن ما كان احد يصنع ثياباً منه غير ملوكهم وابنائهم ولذلك سموه « النبات الملوكي » ولما هبت عواصف الحروب على مصر جفت موارد الثروة فيها فانقرضت زراعة القطن حتى كان عام ١٨٢٠ فاعاد هذه الزراعة الى القطر رجل فرنسوي يدعى المسيو جومل فكان محصولها منه في عام ١٨٢١ — ٤٧ طناً فقط

وكان سيرها بطيئاً في بدء الامر لان الفلاح المصري لم يكن قد ذاق بعدُ لذة الثروة من الزراعة فلما حدثت الحرب الاهلية في اميركا تعطلت زراعة القطن فيها فانهارت المعامل على القطن المصري من كل صوب فطفرت هذه الزراعة في مصر طفرة عظمى وقد بلغ ثمن القنطار الواحد من القطن المصري في ابان الحرب الاميركية الاهلية ستمائة فرنك مع ان ثمن القنطار اليوم من ١١ الى ١٣ ريالاً مصرياً ففاض يومئذٍ الذهب على فلاح مصر فيضاناً ومنذ ذلك الحين نشطت زراعة القطن في مصر وهذا بيان محصولها من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٩٥ بحساب الطن :

في سنة ١٨٢١ — ٤٧ طناً وفي سنة ١٨٢٥ — ١٠٦١٦ طناً وفي سنة ١٨٥٠ — ١٨٢٤٠ طناً وفي سنة ١٨٦٠ — ٢٥٠٧٠ طناً وفي سنة ١٨٦٥ — ١٠٠٥٨٤ طناً وفي سنة ١٨٧٠ — ٦٧٥٩٠ طناً وفي سنة ١٨٨٠ — ١٥٦١٧٠ طناً وفي ١٨٩٠ — ١٧٠ الف طن وفي سنة ١٨٩٥ — ٢٦٠ الف طن . وقد بلغ محصول عام ١٨٩٨ — ٦ ملايين و٥٤٣ الف قنطار تساوي ٢٩١ مليون و١٦٩ الف كيلوغرام . وبلغ في عام ١٨٩٩ — ٥ ملايين و٥٨٩ الف قنطار

اما محصول العام الماضي فيقدرونه بخمسة ملايين قنطار لان فيضان النيل كان ناقصاً فلم يروَ القطن حتى الشبع حسب العادة

والقطن المصري افضل انواع القطن في العالم لان اليافه اطول الياف القطن وفيه مادة حريرية تجعله مطلوباً جداً خصوصاً لقلة محصوله بازاء المحصول الاميركي · وقد انتبه الاميركيون الى ذلك فاخذوا يبحثون في زراعة بزرته في اراضيهم لتاتي بقطن طويل الالياف وحريري مثله · وقد حضهم على ذلك حضرة وكيل الحكومة الاميركية في القاهرة بقوله في احد تقاريره عن الزراعة المصرية « ان القطن الطويل الالياف لهو القطن الذي سيسود في المستقبل على جميع انواع القطن فاذا كثرت زراعة القطن المصري في مصر والسودان وشمالي افريقيا كان ذلك ضربة شديدة على القطن الاميركي لان معامل الغزل والنسج تفضل الاول على الثاني فعلى الزراع الاميركيين ان ياخذوا من تقاوى القطن المصري ويزرعوها في اطيانهم » نقول ولكنهم اذا اخذوا التقاوى المصرية فانهم لا يستطيعون اخذ التربة المصرية لان جودة القطن المصري سببها تربته المباركة وبزرته لا بزرته فقط

والقطن المصري ستة انواع كما يقسمه المصريون ولكنه ستون نوعاً كما تقسمه المعامل الانكليزية وهو اجود انواع القطن الا القطن الاميركي المسمى « سي اسلاند » وهو قطن نادر · اما البلاد التي تستهلكه فهي اوربا كلها وفي مقدمتها انكلترا التي تستورد منه في كل عام اربعمائة الف بالة زنة البالة سبعة قناطير مصرية اي انها تستورد وحدها نصف القطن المصري تقريباً · وصادراته اليها والى اميركا آخذة بالازدياد خلافاً لاوربا

﴿ زراعة القطن في العالم ﴾ وقد شعر العالم في السنتين الاخيرتين بحاجته القصوى الى القطن وبقلة هذا المحصول بالنظر الى شدة هذه الحاجة فقامت الامم تتسابق الى زراعته في املاكها ومستعمراتها · فاخذ الروس ينشطون زراعته في تركستان وقد وضعوا على القطن الوارد الى بلادهم رسوماً جديدة حماية للقطن الوطني · وارسلت مدارس المانيا الزراعية بعض الزراع الى المستعمرات الالمانية في افريقيا ليعلموا اهلها زراعته · واهتمت حكومة السودان الفرنسوي في افريقيا بزراعته في اراضيها ايضاً · وقام تجار القطن الانكليز يحرضون زراعهم على زراعته في اوستراليا وكندا استغناء عن الاميركيين · وقد اخذ كثيرون من الزراع الاجانب والوطنيين يبحثون في زراعته في السودان المصري · ومن المعلوم ان هذه الزراعة ميسورة في السودان اذا امكن ري الاراضي السودانية من مياه النيل · ولعل هذا الامر هو احد الاسباب التي دعت جناب السير وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية الى السفر الى بحيرة فكتوريا نيانزه فوق اعالي النيل للبحث في انشاء

خزان عظيم هناك يخزن المياه للزراعة المصرية والسودانية معاً فيمكن حينئذٍ استعمال مياه النيل لزراعة السودان دون ان يضر ذلك بالزراعة المصرية . ويومئذ يستطيع الزراع في مصر ان يزيدوا مساحة الاطيان التي يزرعونها قطناً ما شأوا الزيادة (١)

✻ زراعته في اراضي الدولة العثمانية ✻ على ان الالمانيين لم يقتصروا على رغبتهم في زراعة القطن في مستعمراتهم بل اخذوا يبحثون منذ الآن في انشاء المزارع الكبرى في ما بين النهرين لزراعة القطن هناك . ومن الراجح ان حكومتهم ستبذل قصارى جهدها لتنشيطهم في ذلك استغناء عن اميركا التي لا تامن مجافاتها في الازمنة القادمة ورغبة في استعمار الاناضول والاراضي البكر العذراء المنبسطة ما بين النهرين لان هذا الاستعمار يدر اخلاف الثروة عليها وعلى ابنائها . وقد انتشر بعض الالمانيين في قطعة الاناضول وجربوا زراعة القطن فيه فبشرتهم زراعته بخير مستقبل . منهم بضعة اقاموا منذ سنوات حوالى مرسين وآطنه يزرعون القطن و ينشئون مزارع في غاية الترتيب ما عدا المزارع الجميلة التي اقاموها في فلسطين وحيفا . فاعجب لهؤلاء النشيطين الذين يهاجرون اوطانهم للزراعة عندنا ونحن نائمون غافلون لا يلذ لابنائنا الا الاستخدام الممقوت الذي يسخر قوة لقوة قد تكون احط منها والذي يقتل في النفس البشرية كل اقدام واستقلال ونشاط

فالزراعة الزراعة ياسكان البلاد التي ارضها بلا زراعة قبل ان ياتي الغريب و يقبض على خيرات ارضكم فتصبحوا لا تاكلون الا ما تخرجه يده من الارض كما انكم لا تلبسون الآن ولا تستعملون الا ما تصنعه معامله

(١) خطب جناب المستر ويلكوكس المهندس المشهور في جمعية المهندسين الملوكية في لندن فقال بهذا الشان ما نصه

« قلت ان مصر تحتاج لاصلاح اراضيها ٦٠٠٠ مليون متر مكعب من الماء وقد ظهر لكم ان خزان اصوان لا يحتمل الا ١٠٠٠ مليون متر . فمن اين ياتي الباقي وهو شيء كثير ؟ ياتي من البحيرات الكبرى التي ينبع النيل منها فانه يمكن ان تحول بحيرة فيكتوريا نيانزا وبحيرة البرت نيانزا عند منبع النيل الابيض الى خزانات تقدم لنا سنوياً ١٨٠٠٠ مليون متر مكعب من الماء يمكن ايصال ١٢٠٠٠ مليون متر مكعب منها الى القطر المصري وهو اكثر مما نحتاج اليه و يمكن انجاز هذا العمل بمبلغ لا يزيد عن مليون جنيه وانني اعتقد انه لا بد من انجاز هذه الفكرة بعد اتمام سكة حديد اوغنده فانظروا مقدار الفائدة العظيمة التي تعود على القطر المصري من هذه الاعمال »

مقاومة الموت واطالة الحياة

بحث جديد مفيد

اول شيء يجب النظر فيه عند البحث في « مقاومة الموت واطالة الحياة » هو هذا : هل أن في هذه المقاومة والاطالة هناءٌ حقيقياً وراحة حقيقية للبشر . فمن الناس من يقول مع ابي العلاء فيلسوف الشعراء

تعب كلها الحياة وما اعجب الا من راغب في ازدياد

فكيف يطلب الانسان اطالة مسافة تعبه وعنائه في هذه الحياة . اليس الافضل له ان تُختصر هذه المسافة ليدخل في عالم الهدوء والراحة . وفضلاً عن ذلك فان اطالة حياة الانسان على الارض تُفضي الى اقبح الامور . فان الزحام الآن على اسباب الرزق في منتهى الشدة مع ان البشر لا يعيشون كثيراً واطول مدة يحفظ فيها الانسان مركزه في العالم ٥٠ عاماً . فكيف تكون حالة المزاحمة على رزق الدنيا ومراكزها اذا تضاعفت هذه المدة . وماذا يحلّ بالعالم اذا اكتشفوا اكسير الحياة الذي ينشده الناس منذ القرون القديمة وهو الدواء الواقي من الموت . الا تصير الارض حينئذٍ ساحة حرب عمومية بين الافراد وتصبح الحياة فيها حينئذ اشد على الانسان من الموت الآن

ومن قائل ان الحياة وان كانت تعباً فهي واجب من الواجبات . والانسان لم يأتِ هذا العالم كما قال تولستوي باختياره ومن تلقاء نفسه بل هنالك قوة خفية ارسلته اليه ليقوم بعمل فيه . فاختصار مسافة هذا العمل تقصير في الواجب واطالة الوقت اللازم لانهاء هذا العمل بمثابة زيادةٍ في القيام بالواجب . وفضلاً عن ذلك فان معدل السن الذي يموت البشر فيه الآن هو ٣٠ الى ٤٠ سنة واقصى ما يبلغه شيوخهم الاقوياء ٧٠ سنة ولا يبلغ حدود المائة الا نفر قليل ممن خصتهم الطبيعة بمزايا عظيمة . ولكن كل شيء في الانسان يدلُّ على ان السبعين سنة ليست حداً لعمره . ومن احسن الادلة على ذلك قول الفيلسوف تيوفراستوس اليوناني الذي عاش بين عام ٣٧٤ و٢٨٧ قبل الميلاد . فان هذا الرجل عمرّ ٨٧ عاماً وقد قال قبل وفاته انني آسف لموتي لانني بدأت الآن افهم الحياة واستلذ اسرارها فهلا امهلتني الطبيعة لاصل الى الغاية

فاذا كان تيوفراستوس لم ينفتح له كتاب الحكمة ولا فهم اسرار الحياة الا بعد قطعه الثمانين فكيف يصح ان يقال ان الخالق العادل قد جعل السبعين حدًّا للحياة

فينتج من هذا ان من واجبات الانسان ان يعتبر الحياة واجبًا عليه لا لذة له وان يطيل اجلها لا ليتمكن من التمتع بها فان هذا شان العجماوات لا الانسان الذي خُلق على صورة الله ومثاله ولكن ليبلغ الحد الذي تنضج فيه نفسه وتخمد اهواؤُه فيصبح انسانًا حقيقيًا مجردًا عن كل حيوانية · وقد اختلف العلماء في الطرق التي ذكروها لاطالة الحياة ولكنهم اتفقوا على امر واحد وهو ان العيش الطبيعي خير الطرق كلها · ويريدون بالعيش الطبيعي ان يترك الانسان عقله وجسمه ينموان نموهما الطبيعي اي دون وضع الحوائل والموانع في وجههما وتعذيبهما بشؤُون المدنية · على ان ذلك يقتضي بحثًا خاصًا وليس هذا محله الآن

وانما غرضنا في هذا الفصل ان نذكر الطرق الحديثة التي يسعى العلماء الآن لاطالة الحياة بواسطتها ونعتمد في الكلام عنها على احدث ما نُشر بشانها

✵ طريقة تجديد الشباب حقنًا بالملح ✵ وفي مقدمة هذه الطرق طريقة كان لها في الشهرين الماضيين دوي عظيم في اوربا واميركا · فان عالمين من علماء شيكاغو في اميركا يُدعى احدهما الدكتور لب والثاني الدكتور لينكل ابلغا زملاءهما العلماء في كل الارض انهما اكتشفا اكسير الحياة الذي قطع الاقدمون اعمارهم وهم يبحثون عنه · وهذا الدواء مركب من الغليسرين والملح فقط ويسمونه الغليسروفوصفات دي صوديوم

وقد جرب هذان الدكتوران دواءهما في رجلين · فانهما اخذا شيخين ضعيفين يدعى الاول برمان وعمره ٨٣ سنة والثاني راناي وعمره ٦٨ سنة وحقناهما بالمصل المذكور تحت الجلد · فطار نبأ هذه التجربة الى العالم اجمع · ثم بعد يوم او يومين انتشر الخبر ان شيخي شيكاغو يستعيدان قوتهما شيئًا فشيئًا ويتجدد شبابهما رويدًا رويدًا فاتجهت انظار البشر يومئذٍ الى شيكاغو ولبثوا ينتظرون الخبر النهائي لان مسالة اطالة الحياة تهمُّ كل انسان

ولكن مرَّ الآن الشهر والشهران دون ان يرد نبأ جديد فعلم الناس ان الدكتورين الاميركيين قد تسرعا في النداء بانتصارهما على الموت كما تسرع الدكتور كوخ حينما نادى منذ بضع سنوات بانتصاره على باشلس السل

غير ان العامة وكثيرين من الخاصة استنتجوا من هذا الاكتشاف امرًا جديدًا وهو فائدة الملح فاقبلوا على اكل الملح من كل جانب حتى حمد الله اصحاب الفنادق في انكلترا

واميركا على ان ثمن الملح بخس قليل ولولا ذلك لاصبح يومئذٍ نادرًا ٠٠ وفي الحقيقة ان الملح مفيد وهو من المواد التي يتخذها الاطباء في المعالجة ٠ فانهم بعد عملهم عملية جراحية ينزف بها شيء كثير من دم المريض يحقنونه بمحلول الملح بعد تصفيته اذا ارادوا انتظام دورته الدموية كما كانت قبل العملية وذلك على نسبة ٧ غرامات في كل ٥ التار من الماء ٠ وقد لاحظوا ان الدورة الدموية تنشط بعد هذا الحقن وتكثر في الدم الكريات الحمراء التي تقويه ٠ وفضلاً عن ذلك فان جسم الانسان يحتوي شيئًا من الملح فان كل جسم ثقله ٧٥ كيلو غرامًا يكون فيه ٥٠٠ غرام ملحًا ويجب ان ياكل سبعة كيلو غرامات من الملح في كل عام ٠ وكلما ضعف جسم الانسان قل الملح الذي فيه ٠ واذا اكل الانسان طعامه من غير ملح مدة طويلة صار هضمه صعبًا على المعدة ٠ وقد ثبت ان البحارة الذين يعيشون فوق المياه المالحة والسكان الذين يعيشون على شواطىء البحر اطول عمرًا من الذين يعيشون في المدينة

فالملح اذًا كثير الفوائد ٠ ولعل الذين تقدمونا قد عرفوا ذلك فقالوا عنه في امثالهم «كل من يطرح ملحًا على الارض يجب عليه في يوم القيامة ان يلتقطه بجفنيه »

اذًا لم يكتشف العالمان الاميركيان امرًا جديدًا

❊ طريقة قتل الكريات القارضة في الجسم ❊ ولكن الدكتور متشنيكوف سعى الى اكتشاف طريقة لاطالة الحياة وتخليد البشر اهم من الطريقة البسيطة التي تقدمت ٠ وتمهيدًا لبيان اكتشافه نقول

من المعلوم ان مدار الحياة في الجسم الانساني وفي كل ذي حياة جراثيم دمه وهي كريات صغيرة سابحة في الدم : فبموت هذه الكريات يموت الجسم وبحياتها يحيى ٠ وهذه الكريات تتولد وتنمو نموًا عظيمًا وطريقة نموها ان ينفصل من كل جرثومة منها جرثومتان وهلم جرًا ٠ وهذه الجراثيم قسمان قسم يأكل الجراثيم والميكروبات المضرة التي تدخل الى الدم انقاذًا للجسم منها ونسميها الجراثيم النافعة وقسم يأكل من انسجة الجسم نفسه ونسميه الجراثيم المضرة ٠ وهذان القسمان متعاديان ياكلان بعضهما بعضًا فاذا قويت الجراثيم النافعة على المضرة كان الجسم قويًا ناميًا واذا قويت المضرة على النافعة ضعف الجسم واخذ بالانحطاط ٠ ففي دور الشباب تكون الجراثيم النافعة اقوى من المضرة وفي دور الشيخوخة تضعف الجراثيم النافعة وتقوى المضرة فتاخذ تقرض انسجة الجسم فيزداد الجسم ضعفًا

فعمل دواء الدكتور متشنيكوف مقصور على ما يلي : يدخل هذا الدواء الى الدم

بطريق الحقن ليقتل فيه الجراثيم المضرة التي تتغذى من انسجة الجسم وبهذه الطريقة تنمو الجراثيم الاخرى النافعة ويبطل ضعف الجسم لقتل الجراثيم التي تضعفه

ولما جرب الدكتور متشنيكوف اكتشافه وجد انه قد قتل الجراثيم المضرة ولكنه قتل معها الجراثيم النافعة فاخذ يهتم باصلاحه · ولا ريب في ان هذا العالم اذا وفق الى قتل الجراثيم المضرة دون النافعة فاز فوزاً عظيماً

﴿ طريقة تقوية الاعضاء الرئيسة ﴾ وبينما يجرب بعض العلماء اطالة العمر عن طريق الدم اخذ غيرهم يجربون اطالته بواسطة تقوية الاعضاء الرئيسة التي عليها المعول في الحياة كالقلب والدماغ والرئتين والمعدة والكبد · فقاموا يهتمون بصنع مصل خاص لتقوية كل عضو من هذه الاعضاء · ولعلهم ينجحون

﴿ طريقة تجديد الحياة بقطع الجوانب المصابة في الاعضاء ﴾ ولكن الاغرب من ذلك طريقة للدكتور بول كارنوت جربها في الحيوان فنجحت ولكنه لم يجربها بعد في الانسان · وبيانها انه اخذ حيواناً مصاباً بالكبد اوالكلية فقطع من كبده او كليته النصف او اكثر منه ثم اخذ يعالجها معالجة يقصد بها انماء العضو الذي بتره فكان العضو ينمو الا اذا كان قد قُطع كله · وبعد نموه يتجدد نشاط الحيوان وتقوى صحته · قال الدكتور كارنوت فما الذي يمنعنا ان نصنع بالانسان ما صنعناه بالحيوان

﴿ طريقة الوهم ﴾ والطريقة الرابعة للعالم المسيو فينو ونسميها طريقة الوهم · فقد نشر هذا العالم في اواخر العام الماضي كتاباً عنوانه « فلسفة طول العمر » قال فيه ما خلاصته « ان الخوف من الموت يتسلط على الانسان منذ شبابه فاذا قام ذكر الموت واذا قعد ذكره فيتاثر مجموعه العصبي من ذلك تاثراً مضراً فعلى كل انسان ان يقتنع بان السبعين عاماً ليست حداً للعمر بل ان في استطاعة كل انسان ان يعيش مائة وخمسين عاماً وحينئذٍ يزول ذلك الوهم الذي يتسلط علينا ويقرب اجالنا · ولا انكر اننا عاجزون عن ابعاد الموت عنا اذ ليس في استطاعة احد ان يؤخر حلاً نهائياً لا بدَّ منه ولكنَّ في استطاعتنا ابعاد حدود العمر وطرد الضعف الذي يصيبنا قبل اوانه فيحط من كرامتنا وعظمتنا »

اخلاق الملكة فيكتوريا

اذا كانت الملكة فيكتوريا قد ابلغت مملكتها الى اوج المجد والعلى . اذا كانت قد ضاعفت سكانها ومساحة املاكها وثروتها وعززت صناعتها وتجارتها تعزيزاً لم يسبق له نظير في العالم . اذا كانت قد انقذت عرش الملكية الذي ضعضعته اعمال بعض من الذين سبقوها عليه كما شهد بذلك رجال السياسة الذين ابنوها في البرلمان . اذا كانت قد صنعت كل ذلك بقوة مراقبتها وبواسطة الوزراء العظام الذين نبغوا في ايام ملكها فانها لم ترفع بذلك شان مملكتها فقط بل رفعت شان جميع النساء ايضاً

ذلك لانها ارت العالم في ايام ملكها مبلغ ما تستطيعه امرأة فاضلة تقبض على ازمة مملكة . فانها اسكتت اصوات الفتنة والاستياء في الداخل وجعلت الايرلنديين انفسهم يحترمونها ويخضعون لها واوقفت طبقة النبلاء عند حدها وجعلت دول العالم لا تتقدم من دولتها الا باحترام واكرام وصيرت ملوكه خاضعين لها كما يخضع الابناء للامهات او الرجال للنساء — وكل ذلك لانها امرأة . وقد كان اللورد ملبورن معلمها يقول « اهون عليَّ ان تكون معاملتي مع عشرة ملوك من ان تكون مع ملكة » وانما قال ذلك لان فيكتوريا كانت شديدة التمسك بحقوقها وامتيازاتها فلا تتنازل لاحد عن شيء منها . وكان الناس يتقبلون منها ذلك لانها امرأة ولو كانت رجلاً لسخطوا عليها كما سخطوا على اسلافها

وهذا الكلام يسوقنا الى ذكر شيء من اخلاق الملكة فيكتوريا تفكهة للقراء وبياناً لاخلاق هذه الملكة العظيمة التي هي اعظم ملكات القرن التاسع عشر وكادت تكون اعظم ملوكه لولا نابوليون الاول . واما تاريخ حياتها الذي هو تاريخ مملكتها في اكثر من نصف قرن فقد افاضت فيه الجرائد اليومية والمجلات مما لا حاجة للعودة اليه بل نكتفي بالكلام على صفاتها واخلاقها

ولدت الملكة فيكتوريا في عام ١٨١٩ وقد جلست على عرش الملك خلفاً لعمها الملك غليوم الرابع وهي في الثامنة عشرة من عمرها . واول عمل عملته بعد ملكها فدل على سلطتها وقوة ارادتها هو تعيين اسمها . فانهم سموها في الاوراق الرسمية التي اعلنوا فيها ارتقاءها الى عرش المملكة « الكسندرينه فيكتوريا » وكان هذا هو اسمها الحقيقي لان عرابها الامبراطور اسكندر الروسي سماها الكسندرينه وامها سمتها فيكتوريا . اما الملكة فانها حذفت من

جميع الاوراق التي قُدمت لها امسم « الكسندرينه » وابقت « فيكتوريا » وكانت توقع بهذا الاسم فقط

وكانت نفس الملكة مركبة من عنصرين · عنصر العظمة والسيادة الذي ورثته عن امها وعنصر الحكمة والتروي والصبر الذي اقتبسته من خالها ليو بولد ملك بلجيكا · ولذلك قالوا انه كان للملك ليو بولد تاثير عظيم على مستقبل انكلترا · ولا عجب فان هذا الملك الدستوري البسيط معروف بانه « حكيم ملوك العالم »

واول وزير استوز رته الصغيرة فيكتوريا كان اللورد ملبورن معلمها وهو من حزب الاحرار فجاءها في ذات يوم وفي يده اوراق يقول انها مهمة لا بد منها فيجب التوقيع عليها فاجابته الملكة في الحال « لقد علموني منذ صغري انه يوجد امور حسنة يجب صنعها وامور رديئة يجب اجتنابها ولكنهم لم يعلموني انه يوجد امور مهمة لا بدّ منها » تعني انها تنظر الى الامور من حيث حسنها او رداءتها لا من حيث ضرورتها فاذا مست الحاجة الى امر رديء نبذته وان كان ضروريًا

ولما استقال اللورد ملبورن خلفه السير روبرت بيل من حزب المحافظين فاراد هذا الوزير ان يحمل الملكة على ابعاد بعض نسائها عنها مخافة تاثيرهن عليها فقاومته بكل عظمة وقد كتبت بهذا الشان الى اللورد ملبورن مربيها ما نصه « لا تظن انني خرجت في كلامي معهم عن دائرة الهدوء وثبات الجأش · فانهم كانوا يريدون معاملتي كما تعامل البنات الصغيرات فاريتهم انني ملكة انكلترا لا ابنة صغيرة · وما ادراني انهم اذا اخذوا الآن نسائي لا يطلبون غدًا خادماتي ايضًا »

واعظم من هذا المشكل الذي قام بينها وبين وزرائها مشكلة قامت بينها وبين اللورد بالمرستون في عام ١٨٥٠ فان هذا الوزير عرض على الملكة في ذات يوم رسائل مهمة ثم خطر له بعد ذلك ادخال بعض التغيير فيها · فلما درت الملكة بذلك استدعته ولامته بلهجة الآمر على انه غير الرسائل ثم خيرته بين ان يستقيل من الوزارة او يبقي الرسائل كما تراها الملكة · فاختار البقاء وزيرًا · وهذا اهم خلاف قام بينها وبين وزرائها

واحبت الملكة بعد جلوسها على العرش ابن عمها البرنس البرت دي ساكس كوبورغ فعزمت على الاقتران به · فبعثت في عام ١٨٣٩ تستدعيه اليها · وقد كتب البرنس البرت الى جدته الدوقة دي كوتا بهذا الشان ما نصه « واستدعتني الملكة في ذلك اليوم اليها وكانت جالسة وحدها فذكرت لي ميلها اليّ ثم قالت لي انها ستكون سعيدة جدًا اذا كنتُ

ارضى بمشاركتها في حياتها » وكان البرنس يحبها كما تحبه فاقترن بها . ولكن الملكة لم تطلع وزراءها على عزمها على الزواج الا بعد ان اتمت عزيمتها

وجاءها رئيس اساقفة كنتربري قبل الزواج يسألها اذا كانت تريد تغيير صيغة اليمين التي تقسمها المراة للرجل عند عقد الاكليل فاجابته « انني ساقسم هذه اليمين كامراة لا كملكة » .

ولما عُرض على مجلس العموم طلب راتب سنوي لزوجها قدره ٥٠ الف جنيه قام احد الاعضاء واسمه المستر جوزيف هوم وقال قولاً اضحك جميع الاعضاء وهو « من الخطر على الشاب ان يضع في كل عام مبلغاً كهذا المبلغ في جيبه ويمشي في اسواق لندن » فجعلوا الخمسين الفا ثلاثين الفاً . فاغاظ هذا الامر الملكة

و بعد الزواج قامت مشكلة جديدة وهي : كيف يكون مقام البرنس من الملكة اذا ولد ولي عهد هل يتقدم ولي العهد على البرنس او البرنس على ولي العهد . وقد اهاج هذا الامر الخواطر في البلاط . فاصدرت الملكة امراً قاطعاً قاضياً بجعل مقام البرنس ثاني مقام الملكة

وقد ذاقت الملكة فيكتوريا بعد زواجها بالبرنس البرت لذة المعيشة العائلية فعاشت معه عيشاً رغيداً مملوءاً بالمسرة والحبور . واول ولد ولدته كان ابنة وهي الامبراطورة فردريكه والدة امبراطور المانيا . فسالت الملكة البرنس ساعة الولادة « هل انت مسرور يا البرت » فاجاب البرنس اذا كنتُ مسروراً بنجاتك فان الشعب الانكليزي غير مسرور . يريد بذلك ان الامة الانكليزية كانت تنتظر أن تلد الملكة غلاماً يكون ولي عهد لها . فاجابته الملكة « ثق ان المولود الثاني سيكون غلاماً »

وفي الحقيقة انه لم ينقضِ احد عشر شهراً على هذه الحادثة حتى علت اصوات المدافع في سنت جمس تعلن مولد البرنس دي غال (الملك ادوار السابع الحالي)

وكما ذاقت الملكة اعظم الملاذ العيلية في زواجها ذاقت اعظم الاحزان العيلية بعد وفاة البرنس زوجها . فانها ابطلت حفلات البلاط وعاشت خمس سنوات لا تظهر لاحد من رعيتها ولا تقابل احداً حداداً على زوجها وحبيبها . فشكا يومئذ صناع لندن وتجارها من هذه الحالة لان حداد البلاط افضى الى كساد البضائع والسلع التي تروج في الحفلات فاقترح بعض اعضاء مجلس العموم حينئذٍ انقاص راتب الملكة لان حدادها لا يقتضي نفقات كثيرة . ولكن الملكة بعد مرض شديد اصاب البرنس دي غال عادت الى الظهور

وخففت شيئاً من حدادها . وكانت تبكي بعد وفاة البرنس وتقول « آه لم يعد الآن يوجد من يناديني " يافيكتوريا "

وكانت الملكة كثيرة المطالعة للكتب والجرائد الانكليزية والفرنسوية والالمانية لتقف فيها على حركة السياسة في العالم . وانما كانت لا تقرأ من الجرائد الانكليزية الا المقالات والفصول التي تضع لها نساؤها علامات عليها . وقد جرت العادة ان لا يضع هؤلاء النساء علامة على فصل لا يروق الملكة . ولذلك فان الملكة كانت تجهل اشياء كثيرة من عواطف شعبها . فانها جهلت استياءهم يومئذٍ من ميلها الى المانيا وازواج ابنتها الى امير الماني وجهلت استياءهم من تركها حفلات البلاط وعدم اذنها لولي عهدها بان يقوم مقامها في الاستقبالات الرسمية التي كانت لا تحضرها . ولا يخفى ان جهل الملك عواطف شعبه قد يضر اشد ضرر بالملك نفسه اذا كان غير محبوب وغير محترم احتراماً كلياً . اما فيكتوريا فانها نجت من ذلك لانها كانت محبوبة ومحترمة

وكانت محبوبة ومحترمة الى حدٍ كان عنده جميع الذين هم حولها يرتعدون خوفاً منها حتى البرنس دي غال نفسه . يروى انه بلغها في ذات يوم ان البرنس دي غال حضر في باريز سباق الخيل في ساحة لونشان في يوم احد فغضبت عليه ووبخته على ذلك حين عودته الى لندن توبيخاً شديداً . ذلك ان الملكة كانت شديدة الحفظ لاصول الدين وفروعه وقد قالت مرة مشيرة الى التوراة « هذا هو سر عظمة انكلترا »

وكانت الملكة ترعى حرمة وزرائها وتكرمهم ولكنها كانت لا تطيق مجالسة غلادستون الوزير العظيم . يروى انه كان يوماً في حضرتها يطلعها على بعض الشؤون ثم خرج من لدنها فتنفست الملكة الصعداء قائلة « اف من هذا الرجل » ولكنها كانت تحترمه ولما كان حزب الاحرار يُسقط حزب المحافظين كانت الملكة تنظر الى مصلحة المملكة دون سواها فتعهد الى غلادستون زعيم الاحرار ان يؤلف الوزارة الجديدة . اي انها كانت تقول في نفسها « لا دخل لمسائلي الشخصية في المسائل العمومية »

وكان السبب في نفورها عن المستر غلادستون انه كان مع معاملته لها بكل احترام واكرام غير صبور على شرح كل ما يجب شرحه لها وكثيراً ما كانت تبدو في وجهه الدهشة من جهل الملكة بعض امور صغيرة كان يعرضها عليها . اما باقي الوزراء وخصوصاً دزرائيلي فانهم كانوا يصبرون على الملكة ما شاءت ويكرمونها ويلاطفونها كملكة وامراة معاً . ولذلك كانت تحب دزرائيلي حباً شديداً

ولعل غلادستون كان يقول في نفسه وهو واقف بازاء فيكتوريا « ما الذي يضطرنا يا رباه الى وضع السلطة العليا في قبضة شخص واحد قد يفهم كل شؤونها احياناً واحياناً لا يفهمها كلها بدلاً من وضعها في قبضة اكابر الامة الذين يفهمونها كلها »

وكانت وفاة الملكة فيكتوريا في منتصف الساعة السابعة من يوم الثلثاء الموافق ٢٢ يناير الماضي في قصرها في اوسبورن بين اولادها واحفادها فدوى نعيها في اقطار العالم دوياً شديداً . ويقال انها رحمها الله قد لفظت روحها وهي تقول «متى تنتهي هذه الحرب متى تنتهي » وتريد بها حرب الترانسفال لانها كانت شديدة الكراهة لها

فعسى ان جلالة الملك ادوارد السابع الذي وعد في خطبة جلوسه ان يقتفي آثار امه الجليلة يحقق آمالها وآمال العالم المتمدن كله بوضع حد للحرب الافريقية . وبذلك يفتتح ملكه افتتاحاً مجيداً

حماية الحيوانات في افريقيا

مؤتمر دولي

يتبادر الى ذهن القارىء اول قراءته هذا العنوان « حماية الحيوانات في افريقيا » ان الانسان في هذا الزمان احق بالحماية من الحيوان . وكثيراً ما تناقلت الالسنة والاقلام هذا القول كلما دار الحديث على جمعية حماية الحيوان او الرفق بالحيوان . ولكن لو علم هؤلاء المعترضون ان الانسان لا يقصد بحماية الحيوانات التي نتكلم عنها ههنا الرفق بها رفقاً مجرداً بل انه يقصد حفظها للانتفاع بها مباشرة او مآلاً لتحققوا ان الانسان لم يخرج عن الدائرة القبيحة الضيقة التي رسمها لنفسه في هذه الحياة وهي « ان لا يعمل عملاً الا وهو يؤمل منفعة منه او جزاء عليه »

وكيف تريد ان يخرج من هذه الدائرة اذا كان يتعلم الاقامة ضمنها منذ اول حياته الى آخرها . في البيت وفي المدرسة وفي السوق حتى في اماكن العبادة

وقد اخذ هذا الميل المادي يزداد في نفوس الناس حتى انه لا يبعد ان يجيء يوم يحسبون من اعظم الفضائل ان يبتسم الانسان لصاحب او رفيق لا يرجو منه نفعاً . وان من اراد سؤال رجل « اين الطريق » وجب عليه ان يضع له في جيبه غرشاً قبل السؤال والا بقي سؤاله بلا جواب

و يومئذ يسمون هذا الامر تقدماً في حفظ المصالح وهو في الحقيقة تقدم ولكن في الطمع والقسوة والخشونة وحب الذات وسائر الشهوات الحيوانية التي تشتد سلطتها على الانسان كلما اتسع نطاق الحضارة وكثر التزاحم في هذه الحياة

فالحضارة على الطريقة الحاضرة اذن تُبعد الانسان عن الانسانية وتفضي به الى درجة الحيوان

وليس المقام مقام بحث في هذا الموضوع ولكننا لم نتمالك النفس عن الاشارة الى ذلك في خلال كلامنا على المؤتمر الدولي الذي اجتمع في لندن في شهر مايو الماضي للبحث في طريقة حماية الحيوانات في افريقيا خوف انقراضها لكثرة صيدها من غير نظام ولا قانون مع ما يترتب على بقائها من الفوائد التجارية (لا تجار الناس بريشها وجلودها وعظامها) ولسهولة النقل بواسطتها هذا فضلاً عن الفائدة العلمية التي تقتضي بقاءها

ولقد اشتركت في هذا المؤتمر كل الدول اللواتي لهن مستعمرات في افريقيا وهن انكلترا والمانيا واسبانيا والبرتغال وحكومة الكونغو الحرة وفرنسا وايطاليا . اما مصر فلعل اشتراكها فيه كان عن طريق انكلترا لاننا لم نسمع بانها بعثت مندوباً من قبلها او من قبل حكومة السودان على الاقل لحضور هذا المؤتمر وانما سمعنا في ذلك الوقت ان حكومة السودان وضعت نظاماً جديداً للصيد

اما الداعي الى عقد هذا المؤتمر فهو تقييد الصيد في افريقيا كما هو مقيد في كل الاقطار المتمدنة التي تحرص حكوماتها على انواع حيواناتها فتحرم الصيد في اوقات معلومة في السنة وهي الاوقات التي تفرخ فيها الطيور وتلد الحيوانات صغارها . وكان الانكليز اول من سعوا الى ذلك . فانه تالف منهم في عام ١٨٩٤ لجنة غرضها حماية الزرافة وحمار الوحش وغيرها من حيوان جنوبي افريقيا . وتوصلاً لهذا الغرض قررت هذه اللجنة طرد عدد عظيم من الحيوانات الافريقية الى نواحي « قلعة سالسبوري » في جنوبي افريقيا وحصرها في بقعة واسعة هناك لتنمو فيها وتتكاثر آمنة مطمئنة . ولهذه المناسبة نذكر ان حكومة فلوريده في اميركا وضعت في ذلك العام (١٨٩٤) نظاماً جديداً مقتضاه العقاب الصارم لكل من يصطاد حيواناً من نوع الاليكاتور لان هذا الحيوان يتغذى من الفأر والجرذ وكانت الفئران والجرذ قد اتلفت بكثرتها الزروع في تلك الجهات . ولو ان حكومة الولايات المتحدة قد وضعت نظاماً كهذا النظام لما انقرضت منها البقر الوحشية حتى لم يبقَ اليوم منها اثر .

وفي سنة ١٨٩٣ عاد من افريقيا سائح فرنسوي يُدعى المسيو بول بورداري . وكان قد شاهد فيها قيام الصيادين من كل حدب وصوب الى افناء الحيوانات الافريقية ولاسيما الفيل فقدم الى وزارة المستعمرات طلباً مقتضاه انشاء اماكن صغيرة في الكونغو الفرنسوي لتربية الفيل فيها لغرضين. الاول منع انقراضه من المستعمرات الفرنسوية وثانياً لتدجينه وتربيته على الالفة والخدمة لانه من المشهور ان الفيل في الهند وسيام يخدم خدمة الانسان تقريباً فانه يحمل الاثقال وينقل الاحمال ويأخذ على كاهله الاولاد الى المتنزهات او الى المدرسة كالخادمات . فلم تسمع له وزارة المستعمرات ولكن الالمانيين اخذوا فكرته وانفذوها فانشأوا في برلين في عام ١٨٩٤ لجنة خاصة لتربية الفيلة في كامرون وتعويدها الالفة وترويضها على الخدمة . وانشأوا مناطق في مستعمراتهم في افريقيا لحماية بعض اصناف الحيوان . وقد حذا الانكليز حذوهم في بلاد الصومال

ثم جعل المسيو بورداري يخطب في فرنسا منبهاً الجمعيات العلمية فيها الى حفظ الحيوانات الافريقية ولا سيما الفيل فانتبه الناس الى ذلك وبقيت حركة الافكار مستمرة حتى افضت الى عقد المؤتمر الدولي الذي اشرنا اليه . فتقرر في هذا المؤتمر قسمة الحيوانات الافريقية الى الاقسام الآتية

(١) الحيوانات التي يجب حفظها ولا يجوز صيدها لانها مفيدة فائدة عمومية كالعقبان والحيوان المعروف بآكل الافاعي لانه يتغذى منها على الاخص والبوم لانه يأكل الفئران فينقذ الزروع من شرها وطير البوفاكا الذي يأكل الحشرات والدود من اجسام الفيلة والجمال والبقر . ثم الحيوانات النادرة مخافة انقراضها وهي الزرافة والغوريلا والشمبنزي وحمار الوحش الجبلي والحمر البرية وفرس الماء الصغير وغيرها

(٢) الحيوانات التي لا يجوز صيدها في صغرها ولا يجوز قتل الانثى منها اذا كان وراءها صغارها كالفيلة ووحيد القرن وحمار الوحش والجاموس البري والنزلان والماعز البري وغيرها

(٣) الحيوانات التي لا يجوز ان يُصاد منها الا عدد قليل معلوم وهي الحيوانات التي تقدم ذكرها في الشذرة الثانية وفوقها : الخنزير البري والقرود التي لها جنود جميلة والحيوانات الليلية التي تحفر لنفسها مكاناً في الاراضي الرملية قرب اعشاش الارضة لافتراسها وحفظ الخشب والاشجار منها . وبنات آوى والسنور الافريقي البري والقرود الصغيرة والنعامة وبعض الطيور التي يصطادونها للاكل وغيرها من الحيوانات المختلفة

(٤) الحيوانات المضرة التي يجب انقاص عددها وهي الاسد والضبع والنمر والحيوان المعروف « بالكلب الصياد » الذي يفترس الانسان احياناً والقرود المضرة والطيور الكاسرة والتمساح والافاعي وغيرها

هكذا قسم المؤتمر الحيوانات الافريقية على كثرتها . وقد قرر ما عدا ذلك وجوب تعيين اراض خصوصية يُحظر الصيد فيها لينمو و يتكاثر حيوانها وتعيين اوقات معلومة للصيد فاذا انقضت حُرم الصيد اطلاقاً ليتسنى للحيوانات والطيور ان تضع وتربي صغارها ووضع رخصة خصوصية يُعطاها الصياد واذا خالف شروط الصيد اخذت الرخصة منه ومُنع من الصيد . وتقليل الصيد بالحبائل والفخاخ التي ينصبها الصيادون ومنع استعمال الديناميت في صيد الاسماك في الانهار والبحيرات . ووضع رسوم على صادرات جلود الزرافه والبراز ووحيد القرن وغيرها من الحيوانات المهمة

فانت ترى ان المقصود من هذه الحماية نفع الانسان لا الحيوان . على ان الحيوانات الافريقية المسكينة ترضى بهذه الحماية كيفما كان الغرض منها لانها تقلل مذابحها . ولو كان لها السنة تنطق لقالت للاوربيين هذا القول الحق : ان اختراق التمدن الاوربي ظلمات افريقيا ادخل الينا الوفاً من رجالكم لقتلنا وصيدنا فبازاء هذه المضار العظيمة التي ادخلتموها الينا يجب عليكم ان تدخلوا الينا منفعة تقابلها : وهي حمايتنا

رواية الحب والخداع

فصل الخطاب

حضرات صاحبي الجامعة الفاضلين

اطلعت في العدد الماضي من الجامعة على ما كتبه حضرة نجيب افندي نسيم طراد ردًا على انتقادي رواية الحب والخداع . ومجمل ما جاء في ذلك الرد انه عرب هذه الرواية مع حضرة الدكتور نقولا افندي فياض عن رنيبه وليس عن ديماس . وما خلا مشهد العقد الذي حذفاه اضطرارًا لا اختيارًا وابدال مقدمة الفصل الرابع بخاتمته لم يتصرفا في التعريب الا بما دعت اليه الحال

واني والحق يقال قد اطلعت في هذه الاثناء على رواية رنيبه نفسها فوجدتها كثيرة المشابهة بابنتها العربية كما انني راجعت الاصل الالماني لشيلر فالفيت رنيبه اشد حرصاً

في النقل من ديماس ولئن كان ديماس في تصرفه قد زاد في حسن الرواية ورونقها. بقي اني لا ازال الوم معربي رواية الحب والخداع على اغفالها ذكر الكاتب رنييه في مقدمتها دلالة على فضله ودفعاً للالتباس

وفصل الخطاب في هذه المناظرة ان رواية شيلار الالمانية قد نقلت الى الفرنسوية اولاً بقلم اسكندر ديماس وثانياً بقلم رنييه الذي ترجم اكثر مؤلفات شيللر ومن حسن الاتفاق ان هذه الرواية الفرنسوية عربها حضرات الدكتور نقولا افندي فياض ونجيب افندي طراد وطبعت في بيروت والرواية التي سبقت عربها حضرة صديقنا طانيوس افندي عبده وقد طبعت حديثاً في مصر واذا قوبلت الروايتان العربيتان ظهر الفرق الذي بين ترجمة رنييه وترجمة ديماس ذاكي مابرو

﴿ النمل ﴾ النمل حيوان حريص على جمع الغذاء وهو عظيم الحيلة في طلب الرزق فاذا وجد شيئاً انذر الباقين ليأتوا اليه . ويقال انما يفعل ذلك منها رؤساؤها ومن طبعه انه يحتكر قوته من زمن الصيف الى زمن الشتاء . وله في الاحتكار من الحيل ما انه اذا احتكر ما يخاف انباته قسمه نصفين ما خلا الكبيرة فانه يقسمها ارباعاً لما الهم من ان كل نصف منها ينبت واذا خاف العفن على الحب اخرجه الى ظاهر الارض ونشره واذا احست بالغيم ردته الى مكانها خوفاً من المطر . فان ابتل شيء منها تبسطه يوم الصحو في الشمس . ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الارض وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات منعطفات يملأها حبوباً وذخائر للشتاء . وتجعل بعض بيوتها منخفضاً لينصب اليه الماء وبعضها مرتفعاً للحب ومنها ايضاً انه مع لطافة شخصه وخفة وزنه له شم ليس لشيء من الحيوان مثل ذلك . فاذا وقع شيء من يد الانسان في موضع لا ترى فيه شيئاً من النمل فلا يلبث ان يقبل كالخيط الاسود الممدود الى ذلك الشيء . ويشم رائحة الشيء الذي لو وضعته على انفك ما وجدت له رائحة (القزويني)

باب التربية والتعليم

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم الزاميا

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

اصلاح عظيم في الشرق

(المرأة الجديدة)

كتاب في مقالة مكتوبة لعقلاء الشرقيين

في اوائل القرن السابع عشر كان اكبر برهان يقيمه اللاهوتي او الفيلسوف استشهاده برأي المعلم الاكبر الذي وضع ذلك الدين او تلك الفلسفة . فكان يكفي لاثبات قضية لاهوتية ان يقال « هكذا ورد في كتاب كذا » ويكفي لتقرير قضية فلسفية ان يقال « هذا راي اريسطو » فكان اللاهوتيون والفلاسفة في راحة وصفو في ذلك الزمان لضعف معارضيهم ومقاوميهم ولكن الاوهام والاغلاط كانت تتراكم في اقوالهم وكتبهم والفلسفة واللاهوت يضعفان تحت نير التسليم الاعمى

وبينما كان العالم في ذلك الخمول الفلسفي ظهر حوالى عام ١٦١٩ كراس صغير ذو مائة صفحة كتبه ضابط فرنسوي في الثالثة والعشرين من عمره وعنوانه « الطريق » اي الطريق الى الحقيقة . فهذا الكراس كان وحده كافياً لتغيير وجه العالم وانشاء مستقبل جديد لشعوب الارض وملوكها

اما اسم هذا الضابط فهو « ديكارت » (١) واضع اساس الفلسفة الحديثة وموضوع

---

(١) هو رنه ديكارت الرياضي والطبيعي والفيلسوف الشهير واضع اساس الفلسفة الحديثة . ولد في لاهاي من اعمال فرنسا في عام ١٥٩٦ وتوفي في اسوج في عام ١٦٥٠ ومن مؤلفاته كتاب « الطريق » وكتاب « تاملات فيما وراء الطبيعة » وغيرها

كراسه هو هذا : « لا تعتقد بشيء ما لم تقتنع بصحته » وقوله « اذا رمتَ معرفة الحقيقة فيجب ان تخلو بنفسك مرة في حياتك وتتجرد من كل الاراء والمذاهب التي تلقنتها منذ صباك ثم تبني لك بواسطة آرائك ومعارفك مذهباً خصوصياً » فقامت يومئذٍ قيامة عالم اللاهوت وعالم الفلسفة على ديكارت لانه اسقط بهاتين القاعدتين اقوى سلاح كان للاهوت والفلسفة . فاضطهدوه وكفروه وسبوه ولكن ذلك لم يمنعه ان يفوز عليهم فوزاً امبيناً ويغير وجه العالم بكتابه حتى سماه الفلاسفة « ابا الفلسفة الحديثة » كما يسمون ارسطو « ابا الفلسفة القديمة »

واما الآن كراس باللغة العربية ذو ٢٢٩ صفحة عنوانه « المرأة الجديدة » ومؤلفه حضرة الفاضل قاسم بك امين وموضوعه ابحاث مختلفة في حقوق المرأة المسلمة وواجباتها ووجوب تربيتها وهدم السور الذي يحول بين العالم الخارجي وبينها وفي المدنية الاسلامية . وكل هذه المباحث مبنية على هذه القاعدة « من اهم ما يجب علينا هو ان نلتفت الى التمدن الاسلامي القديم ونرجع اليه ولكن لا لننسخ منه صورة ونحتذي مثال ما كان فيه سواء بسواء بل لكي نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونتدبر في اسباب ارتقاء الامة الاسلامية واسباب انحطاطها ونستخلص من ذلك قاعدة يمكننا ان نقيم عليها بناء ننتفع به اليوم وفي ما يستقبل من الزمان »

هذا ما قاله حضرة قاسم بك في الصفحة ١٧١ من كتابه . افلا يخيل لك حين قراءة هذه السطور انك تسمع « ديكارت » ناطقاً بلسانه . لذلك نعتقد اعتقاداً « لا يزعزعه ادنى شك » بان هذا « الكراس الصغير » سيكون من اكبر الحوادث في تاريخ مصر واذا قام بعد مائة سنة مؤرخ لكتابة تاريخ حركة الافكار في مصر فانه سيخصص لكتابي « المرأة الجديدة » و « تحرير المراة » اللذين كتبهما قاسم بك صفحات كثيرة من تاريخه مع انه لا يذكر كثيراً مما يُنشر اليوم من الكتب والجرائد والمجلات الا في بضعة اسطر او بضع كلمات

على ان تاثير هذا الكتاب غير مقصور على تخليد اسم كاتبه في تاريخ مصر وتاريخ الشرق قاطبة لسبقه الى معرفة الداء ووصف الدواء بشجاعة ادبية نادرة المثال في هذا الزمان . بل نعتقد ايضاً ان كتاب « المراة الجديدة » ورفيقه « تحرير المراة » سيحدثان انقلاباً عظيماً في الشرق . بل هما بدء الانقلاب العظيم الذي ينتظره عقلاء الشرق منذ عهد بعيد . وبناء عليه يكون كتاب قاسم بك نتيجة لا مقدمة . اي انه مبدأ نضج في الشرق فظهر

على قلم قاسم بك ولو لم يظهر على قلمه لظهر على قلم شرقي عاقل غيره لان ناموس الارتقاء لا يوقفه شيء وسواء قاومه المقاومون او لم يقاوموه فانه سينتصر ويخرج من مضمار المقاومة اشد ابراقاً واشراقاً

وانما ولد هذا المبدأ في مصر قبل سواها من الممالك الشرقية الاسلامية لان مصر ارقاها والتمدن اشد عضداً فيها منه في سواها . ونذكر اننا قرأنا منذ نحو ٣ سنوات تلغرافاً في جريدة الطان الباريزية وارداً عليها من القاهرة وهذه خلاصته « لقد اقامت مساء امس الاميرة فلانة (وقد غاب عنا اسمها) حفلة حافلة في منزلها دعت اليها بعض وجوه الوطنيين والاجانب رجالاً ونساء واستقبلتهم كلهم بنفسها » فذيلت جريدة الطان هذا الخبر بقولها لقد قُضي الامر وظهر ان مصر ستكون اول بلد ينشق الحجاب فيه . وذلك لان التمدن يخطو فيها خطوات واسعة

ولكن لماذا يُتخذ شق الحجاب دليلاً على التقدم والارتقاء . السبب بسيط جداً ولكننا نترك الى قاسم بك شرحه بقوة بيانه لذلك نشرع في تلخيص كتاب « المراة الجديدة » بما يمكن من الايجاز

المقدمة

قال المؤلف في المقدمة ما خلاصته

« المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث بدأ ظهورها في الغرب على اثر الاكتشافات العلمية التي خلصت العقل الانساني من سلطة الاوهام والظنون والخرافات »

« وكان الاوربيون يرون راينا اليوم في النساء فيقولون ان « ذات الشعر الطويل والفكر القصير » لم تخلق الا لخدمة الرجل فلما انكشفت عنهم غشاوة الجهل اكتشفوا انهم هم انفسهم منشأ انحطاطها وسبب فسادها » فدخلت المراة الغربية منذ ذلك الحين في طور جديد .

« فاختفت حينئذ من عالم الوجود تلك الانثى — تلك الذات البهيمية التي كانت مغمورة بالزينة متسربلة بالازياء منغمسة في اللهو وظهر مكانها امراة جديدة هي المراة شقيقة الرجل وشريكة الزوج ومربية الاولاد ومهذبة النوع »

« وهذا التحويل كل ما نقصد

(واذا تم ذلك فنحن على يقين لا يزعزعه ادنى شك من ان هذه الحركة الصغيرة تكون اكبر حادثة في تاريخ مصر)

(ونحن لا نكتب طمعاً في ان ننال تصفيق الجهال وعامة الناس الذين اذا سمعوا

كلام الله وهو الفصيح لفظه الجلي معناه لا يفهمونه الا اذا جاء محرفاً عن وضعه وانما نكتب لاهل العلم وعلى الخصوص للناشئة الحديثة التي هي مستودع امانينا في المستقبل)

ثم اختتم المقدمة باستشهاده بقول لحضرة صديقنا منشيء مجلة المنار المصرية عن مسالة الحجاب من الوجه الديني و باثباته ان الشريعة الاسلامية خولت المراة المسلمة حقوق (تدبير ثروتها والتصرف فيها وحثت على تعليمها وتهذيبها ولم تحجر عليها الاحتراف باية صناعة و بالغت في المساواة بينها و بين الرجل الى حد ان اباحت لها ان تكون وصية على الرجل وان تتولى وظيفة الافتاء والقضاء اي وظيفة الحكم بين الناس بالعدل . وقد ولى عمر رضي الله عنه على اسواق المدينة نساء مع وجود الرجال من الصحابة وغيرهم مع ان القوانين الفرنسوية لم تمنح النساء حق الاحتراف بصناعة المحاماة الا في العام الماضي . فاذا كانت شريعتنا تمنح المراة هذه الدرجة من الحرية فهل يجدر بنا في هذا العصر ان نهمل الوسائل التي تؤهل المراة الى استعمال هذه الحقوق)

(لا اظن ان ذلك يليق بنا وارجو ان كثيرين من القراء يرون راينا)

هذه خلاصة المقدمة

الفصل الاول

﴿ المرأة في حكم التاريخ ﴾

" يلزم ان نعرف من اي نقطة ابتدأنا حتى نعلم الى اي نقطة نصل "

« فقد ذكر المؤرخ هيرودوتس ان علاقات الرجل مع المراة كانت في العصور الاولى متروكة الى الصدفة وكان مشاعاً اذا ولدت المراة ولداً ان يجتمع القوم متى وصل الولد الى سن البلوغ و ينسبوه الى اشبه الناس به » وكذلك كان عند القبائل الجرمانية وعند العرب في الجاهلية فكانت المراة يومئذٍ تعيش مستقلة بنفسها وربما كانت تشارك الرجل في الدفاع عن قبيلتها و يدل على ذلك ذكر وقائع الفارسات (الامازون) في التواريخ القديمة " ومن هذا القبيل ان ملك سيام له عدد من النساء عهد اليهن حراسته وكان لملك الداهومي بهانزين الذي استولى الفرنسويون على بلاده من بضع سنين خمسمائة جندي من الرجال وخمسمائة من النساء "

ولكن (لما ودع الانسان بداوته) تالفت العائلة فترتب على دخول المراة فيها حرمانها من استقلالها وخضوعها لرجلها الذي اصبح مالكاً لها (كما يملك الرق) (وهذا امر يعلمه كل مطلع على القانون الروماني) ثم لما انتظمت احوال الهيئة الاجتماعية (خفت صولة

الرجل على المراة نوعاً بتاثير الحكومة التي ردت اليها حق الملك كله او بعضه وحق الارث تماماً او ناقصاً (ولكن بقيت المراة في نظر الناس احط من الرجل قدراً) . فانها كانت (مجردة عن شخصيتها في الهند) وكانت المراة اليونانية (مكلفة بان تعيش في الحجاب التام) اما المراة الرومانية فانها كانت (في حكم القاصر) وفي مبداء تاريخ اوربا بحث مجمع ماكون الذي انعقد في سنة ٥٨٦ بعد الميلاد في هل ان المراة انسان فقرر (بعد بحث طويل ومناقشة شديدة انها انسان ولكنها خُلقت لخدمة الرجل) . وقد دام هذا الاستبداد العائلي مدة دوام الاستبداد السياسي في اوربا فلما اضمحل الاستبداد السياسي في اوربا سقط نير الاستعباد عن عنق المراة الاوربية . اما الشرق فبقي الاستبداد العائلي (سائداً فيه عامةً حيث نرى سكان الصين والهند وبلاد العرب والترك والعجم خاضعين الى سلطة حكومة لم تتغير عما كانت عليه منذ الاف من السنين)

(وفي كل مكان حط الرجل فيه من منزلة المراة وعاملها معاملة الرقّ حط بنفسه وافقدها وجدان الحرية وبالعكس) وهكذا تجد في البلاد الشرقية (ان المراة في رق الرجل والرجل في رق الحاكم فهو (اي الرجل) ظالم في بيته مظلوم اذا خرج منه)

وهذا مقياس لكل حكومة في العالم فحيثما تكون المراة اكثر تمتعاً بحريتها تكون الشرائع اكثر رفقاً وحرية . فالمراة في اوربا محترمة حرة لان شرائعها حرة ولكنها في اميركا اكثر حريةً لان شرائعها اكثر حرية ايضاً . وقد بلغ من حرية النساء في اميركا انهن اعطين حق الانتخابات السياسية في ولاية يومنج في عام ١٨٦٩ وقد حذت ولايات آوته وكولورادو وايداهو حذو تلك الولاية

« فمجمل تاريخ المراة انها عاشت حرة في العصور الاولى ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي ثم لما بلغت الانسانية مبلغها نالت المراة حريتها »

فلماذا لا نعطي المراة المصرية حريتها « ان الاستبداد السياسي في مصر اصبح الآن في حالة النزع واشرف على الفوات بحيث لا تُرجى له عودة . ومع ذلك فالرجال عندنا لا يزالون يستبدون في نسائهم . فما سبب ذلك »

« سببه ان قوانيننا قد ارتقت قبل ان نرتقي فهي قد وُضعت لامة حرة واخلاقنا لا تزال اخلاق امة مسترقة وانما نحن نتصور الحرية ولا نشعر في الحقيقة بحبها ونعرف حق الغير ولا نجد من انفسنا احتراماً له . اما الغربيون فانهم فهموا طبيعة الانسان واحترموا شخصيته فمنحوا المراة ما منحوا انفسهم من الحقوق في جميع ما يتعلق بالحياة الخاصة » قال

قاسم بك فيجب ان نحذو حذوهم . وندرك هذه الحقيقة الظاهرة وهي ان المراة انسان مثل الرجل"

الفصل الثاني

حرية المراة

« ان المقصود من الحرية هنا هو استقلال الانسان في فكره وارادته وعمله متى كان واقفاً عندحدود الشرائع محافظاً على الاداب »

« ولا نقول ان المراة اليوم تُباع وتُشرى في الاسواق ولكن ليس الرقيق هو الانسان الذي يُباح الاتجار به فقط بل الوجدان السليم يقضي بان كل من لم يملك قياد فكره وارادته وعمله ملكاً تاماً فهو رقيق»

« ولا اظن احداً ينكر عليَّ قولي ان المراة في نظر المسلمين على الجملة ليست انساناً تاماً فليس من الادب في كثير من العائلات ان لا تقبل المراة يد الرجل عند السلام عليه ولا من الادب ان يجلس النساء مع الرجال ولا من الادب ان ياكن معهم وقد رايت مراراً بعيني ان الرجل يجلس على مائدة الطعام وامراته قائمة تطرد الذباب عنه وابنته تحمل ابريق الماء

« ومن مفاخرهم ان لا تخرج المراة من خدرها الا محمولة الى قبرها

« انظر الى صبي لا يزيد عمره عن ١٥ سنة وقارن بينه وبين والدته تجد انها احط منه في العقل والمعلومات والتجارب وانه اكبر منها شاناً حتى في شؤون منزلها . كيف لا وهو الذي يامر وينهى فيه

« انظر الى امراة تمشي في الطريق ومعها خادم تجد ان الخادم يشعر من نفسه انه هو صاحب الارادة والراي والقوة يمشي امامها وهي وراءه وكأن لسان حاله يقول اني اؤتمنت على هذه الذات الجاهلة الضعيفة وعلى ملاحظتها وحراستها وحمايتها »

واذا سارت المراة وحدها في الطريق تحرش بها اهل الخلاعة اذا كانت محجبة مبرقعة . اما المراة السافرة فلا يتعرضون لها وذلك لما « وقر في نفوس الرجال عندنا من ان البرقع والخبرة هما عنوان الجهل والضعف وآية الانخداع »

« فالحجاب هو عنوان ذلك الملك القديم واثر من آثار تلك الاخلاق التي عاشت بها الانسانية اجيالاً قبل ان تهتدي الى ادراك ان الذات البشرية لا يجوز ان تكون محلاً للملك لمجرد كونها انثى كما اهتدت الى ان تفهم ان سواد البشرة ليس سبباً لان يكون الرجل

الاسود عبدًا للابيض »

« فاول عمل يُعد خطوة في سبيل حرية المراة هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره »

وما الداعي الى الحجاب . الداعي اليه تهمة المراة بنقصان العقل و بفساد الاخلاق

اما الامر الاول فقد استشهد عليه المؤلف باقوال العلماء الذين يذهبون الى ان المراة تدرك ما يدركه الرجل وان عقلها كعقله . واما الامر الثاني فقد قال فيه هذه الكلمة الجميلة « لو جاز لدفع ضرر محتمل الوقوع تجريد الانسان عن حريته لوجب وضع تسعين في المائة من الرجال تحت قانون الحجاب منعاً لهم من الفساد »

تسعون في المائة . لا حول ولا قوة الا بالله . الظاهر ان قاسم بك شديد الوطأة على الرجال كما انه شديد الرافة بالنساء

على ان القول بان حرية النساء « تعرضهن للخروج عن حدود العفة كله كلام لا اصل له تبطله التجارب و ينبذه العقل . بل ان التجارب تدل على ان حرية النساء تزيد ملكاتهن الادبية وتبعث فيهن احساس الاحترام لانفسهن وتحمل الرجال على احترامهن

« ها هم اخواننا وابناء وطننا المسيحيون واليهود الذين تركوا عادة الحجاب من عهد قريب وربوا نساءهم على كشف وجوههم ومعاملة الرجال فاين هم من الانحلال

« ان النساء المسجونات يُحسبن قبل كل شيء نساء مريضات ولهذا فهن اشد تعرضاً لمطاوعة شهواتهن من النساء اللواتي يتمتعن بحريتهن

« واذا اقترن الحجاب بالبطالة ولا يمكن انفكاك الحجاب عنها تبعهما قتل كل فضيلة في نفس المراة »

وفضلاً عن ذلك فان من اقوى واجبات المراة تربية الاطفال ولكن كيف تحسن المراة تربية اولادها اذا كانت جاهلة

« يمكنني ان اجاهر هنا بلا تردد ان صبياً من اولادنا ذكرًا كان او انثى لا يزيد عمره عن عشر سنوات قد يحشد الى ذهنه من الفاظ وصور الفساد ما لا يبلغه شاب او شابة في سن الخامسة عشرة او الثامنة عشرة من ابناء البلاد الاوربية »

فيجب جعل العائلة وَسَطًا صالحًا لنمو الفضائل . والطريق الى ذلك تعليم المراة واطلاق الحرية لها « وليس من الممكن ان تصل المراة الى هذه المنزلة الادبية ما دامت في الحجاب ولكن من السهل جدًا ان تصل اليها بالحرية

وقد ختم قاسم بك هذا الفصل بهذا القول البديع

« واول جيل تظهر فيه حرية المراة تكثر الشكوى منها و يظن الناس ان بلاءً عظيماً قد حلَّ بهم لان المراة تكون في دور التمرن على الحرية ثم مع مرور الزمن تتعود المراة على استعمال حريتها وتشعر بواجباتها شيئاً فشيئاً وترتقي ملكاتها العقلية والادبية . وكلما ظهر عيب في اخلاقها يداوى بالتربية حتى تصير انساناً شاعراً بنفسه

« تلك سنة الفطرة فلا يجوز لنا ان نتخيل ان في امكاننا الخلاص منها . فان اردنا ان نصل الى الغاية التي وجهنا اليها آمالنا فما علينا الا ان نستسلم الى حكم السنة الالهية . والا كان مثالنا كمثل اب مجنون خاف على ولده اذا مشى ان يسقط على الارض فمنعه المشي حتى كبر فعاش مقعداً مشلول الرجلين

الفصل الثالث

﴿ الواجب على المراة لنفسها ﴾

« قال الشاعر العربي

كُتب الحرب والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيول

« ولكن هذه الصورة التي شخص بها الشاعر صورة المراة ليست صورة المراة الحقيقية لانها ليست صورة انسان بل ولا حيوان اذ ليس في الوجود حيٌّ الا وله وظيفة يؤديها وعمل يشتغل به

« نحن نفهم ان رجلاً يعيش في عالم الخيال يكتب في مكتبته على ورقة ان ليس على النساء الا ان يقعدن في بيوتهن خاليات البال تحت كفالة وحماية الرجال . نفهم ذلك لان الورق يتحمل كل شيء

« ولكن هذا الكاتب ان كتب او تكلم لا يكتب ولا يتكلم عن امراة حية ذات لحم ودم واحساس ووجدان وانما يكتب و يتكلم عن المراة التي في ذهنه

« ولا نرى في تمثيل المراة في اذهاننا بهذا المثال (الذي وصفه) الا توارثنا آراء العرب فيها

« ذلك ان حياة العرب كانت حياة حرب وقتال وارزاقهم كانت من الغنائم . والامة التي معاشها متوقف على القتال لا يمكن ان يكون فيها للمراة شان كبير ولذلك نزلت درجتها عندهم ولم يكن لها عمل في العائلة لان التربية عندهم كانت قاصرة على تغذية جسم الطفل بالرضاعة والاكل حتى ينشأ رجلاً مقاتلاً لا عالماً فاضلاً . هذا منشأ صورة انحطاط المراة في عقول المسلمين . وهي صورة حقيقية اذا نُظر الى الماضي ولكنها مزورة اذا نُظر الى الحال

والمستقبل لأن المراة المصرية اليوم لا تشابه المراة العربية التي كانت تعيش من الوف سنين لا في الظاهر ولا في الباطن . وقد اصبحنا في عصر أمن الناس بعضهم بعضاً واستقر النظام فيهم فلم تبقَ الحرب شغلاً شاغلاً لهم واصبح الناس غير محتاجين الى الغزو في كسب ارزاقهم ولم يبقَ للقتال حاجة الا في احوال مخصوصة يتولاه فيها اناس معروفون « وقد تغيرت المعيشة الاجتماعية والاقتصادية في العالم فتغيرت معها وظيفة المراة واصبحت في بعض الاحوال ، مضطرة رغماً عنها ان تدخل في ما دخل الرجال فيه وان تعمل لتكسب وتعيش « حين الحاجة . ومتى تمسُّ هذه الحاجة ؟ انها تمس حين تطليق المراة التي لا رزق لها او موت رجلها او سجنه سجناً طويلاً او فقره او مرضه او فراره وهلم جرًّا . وفضلاً عن ذلك « فانه يؤخذ من أحصاء الاهالي الذي حصل في سنة ١٨٩٨ وهو آخر احصاء جرى في القطر المصري ان جملة النساء المصريات المشتغلات بصناعة او حرفة ٦٣٧٣١ امراة اي انه يوجد الآن في مجموع المصريات اثنتان في كل مائة امراة تشتغلان بصناعة. ولم يدخل في هذا الاحصاء نساء الارياف اللواتي يشتغلن بالزراعة ولا النساء الاجنبيات

وذلك يدل على احتياج اولئك النساء للعمل « افلا يجب والحالة هذه ان يتهيأن للنجاح قبل الدخول في الحياة بالوسائل التي يستعدُّ بها الرجال انفسهم وكيف يتم ذلك من غير منحهن الحرية «

وان قيل ان عدد النساء المشتغلات في بلادنا قليل فضلاً عن انهن من غير الغنيات فالجواب « اننا مسافون في هذا الطريق بقوة لا يستطيع احد مقاومتها . ويظهر لي ان الزواج عندنا قد بدأ في التناقص فاني اعرف كثيرين من الذكور والاناث تجاوزوا السن الذي يحصل فيه الزواج عادةً فنظام الوجود يقضي بان كثيرات من النساء يعشن في الوحدة والانفراد ويسعين ويعملن لكسب قوتهن فينبغي ان نعدَّ المراة للغلبة على ما تلاقيه امامها من الصعاب ومرارة الحياة «

ثم اقترح المؤلف تعليم النساء احدى الصناعتين اما صناعة تربية الاطفال وتعليمهم واما صناعة الطب . واما جول سيمون الذي نقلنا رايه في المرأة في فصل تقدم فانه يزيد على هاتين الصناعتين صناعة الصيدلية « الاجزاجي » لانها قريبة من صناعة الطبخ الخاصة بالنساء فضلاً عما فيها من الهدوء الذي يمكن المرأة من القيام بواجباتها البيتية والوالدية اذا كانت متزوجة

وقد اختتم المؤلف هذا الفصل بقوله « يجب ان تربى المرأة على ان تكون لنفسها اولاً .

لا لان تكون متاعاً لرجل ربما لا يتفق لها ان تقترن به مُدة حياتها

وليس معنى ذلك الزام كل امرأه بالاشتغال باعمال الرجال وانما معناه انه يجب ان تهيأ كل امراة للعمل لتكون مستعدة له عند مساس الحاجة اليه »

الفصل الرابع

﴿ الواجب على المراة لعائلتها ﴾

« اذا اردت ان تعرف مقدار جهل الامهات عندنا بابسط مبادىء التربية قابل وفيات اطفال القاهرة بوفيات اطفال لندن . فقد بلغت وفيات اطفال القاهرة بحسب الاحصاء الذي نشرته مصلحة الصحة في هذا العام ١٤٥ طفلاً في الالف يقابل ذلك في لندن ٦٨ في الالف » فيجب علينا ان نعلم المراة كيف تربي جسد طفلها وعقله

ثم اثبت المؤلف ان على المراة في الهيئة الاجتماعية هو تكوين اخلاق الامة واستشهد على تاثيرها في ذلك بالعبارة التي صدرت الجامعة بها احد ابوابها نقلاً عن روسو وهي

« يكون الرجال كما تريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء »

« فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

وباقوال اخرى تشبهها

وبعد كلام طويل عن فضل النساء اللواتي نبغن في العالم بحث في اسباب انحطاط الامم الاسلامية فقال ان اسباب الانحطاط تنحصر عادة في الاقليم او في الدين او في العائلة . ثم نقض سببي الاقليم والدين وعزا السبب الكلي الى العائلة واستشهد على ذلك بمقال لحضرة عزتلو ابرهيم بك الهلباوي كتبه الى جريدة المؤيد الغراء في سفره الى الاستانة في العام الماضي لما مرَّ على جزيرة كريت فقال « ذكرت ما نال مسلمي هذه الجزيرة من الذل والظلم فلم تجد نفسي في جسمي دماً يتاثر ولا بقلبي محلاً للاسف او الرحمة . فلماذا ذلك . هل لان المصائب قد تكاثرت علينا فصرنا لشدتها لا نشعر بها . قال هلباوي بك وقد بدا لنفسي جواب آخر على عدم الاكتراث بما اصاب مسلمي كريت . ذلك اني قبل المجيء الى الاسماعيلية كان آخر سفري على خط السويس من جهة القاهرة محطة الزقازيق ثم اتجه القطار بنا نحو الاسماعيلية وهي المرة الاولى في حياتي التي مررت بها على التل الكبير والقصاصين المحسمة ونفيشة هذه المواقع التي اتخذت خطوطاً للدفاع ضد الجيش الانكليزي في سنة ١٨٨٢ . والشان ان المرور على مثل هذه البقاع للمرة الاولى يحرك لوعة الاسف

وذكرى ضياع مجد البلاد واستقلالها . ومع ذلك لم اجد ألمًا او اضطرابًا ».

قال قاسم بك « واذا اردنا ان نصدق في القول مثله يجب علينا ان نعترف اننا اذا مررنا نحن ايضًا على هذه البقاع وشاهدناها فلا تتحرك نفوسنا اكثر مما تحركت نفسه »

« والسبب الحقيقي لفقد الشعور عندنا الى هذا الحد هو انحطاط شان العائلة واهمال تربية العواطف في زمن الطفولية »

فيجب تربية المراة وتعليمها لتحسن هذه التربية

الفصل الخامس

﴿ التربية والحجاب ﴾

وهنا اهم بحث بحثه المؤلف وهو : هل يمكن تربية المراة مع الحجاب وهل يجب في هذه التربية ان يُعمل على قواعد تؤخذ من العلوم الغربية الحديثة او يُرجع فيها الى اصول المدنية الاسلامية القديمة

فافاض اولاً في وجوب تربية المراة تربية ادبية « ولو خصص نساؤنا للمطالعة عشر الوقت الذي يقضينه اليوم في البطالة ولغو الكلام والخصام لارتقت بفضلهن الامة المصرية » ثم اشار بتعليمهن الاصول العصرية مثل الموسيقى والرسم واستطرد الى قول معارضيه انه يريد جعل المراة المصرية تقلد المراة الاوربية مع ان المدنية الاسلامية هي المجد الصحيح الذي يجب ان تُشدله رواحل العزائم والذي سيتضح للعالم اجمع يومًا ما انه هو نفس الكمال الذي ينشده الانسان ويلتمسه الوجدان »

قال المؤلف « ان هذا القول يحرك الميل الغريزي الموجود في كل انسان الى التعلق باثار الاباء والاجداد . ولكن الاجدر بنا ان لا نجعل للفظ تاثيرًا فينا الى حدٍ يذهلنا عن الحق وعلينا ان ناخذ اهبتنا لمقاومة سلطة العادات الموروثة اذا خشينا ان تسلبنا ارادتنا واختيارنا فيجب اذن ان نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونستخلص منه قاعدة نقيم عليها بناءً جديدًا

ثم قال ما خلاصته « ظهر الدين الاسلامي في جزيره العرب بين قوم يعيشون في حال البداوة فوحد كلمتهم واخضعهم الى رئيس واحد ووضع لهم شرعًا نسخ ما كان عندهم من العادات ثم امرهم بالجهاد فاستولوا على من يليهم من الامم لا بامتيازهم عليهم في العلوم والصنائع ولكن بروح الوحدة التي بعثها الاسلام فيهم مع استعدادهم الفطري للقتال . فلما اختلطوا بالمصريين والشاميين والفرس والصينيين والهنود وغيرهم وجدوا عند هؤلاء الامم

كثيراً من العلوم والصنائع فاستفادوا منها ونقلوا معظمها الى لسانهم وسمحوا لاولئك المغلوبين ان ياتوا بترقيتها ما شاؤوا فظهرت عند ذلك تلك النهضة العلمية العربية

« فالمدنية الاسلامية قد شيدت على هذين الاساسين : الاساس الديني الذي وحد قبائل العرب والاساس العلمي الذي رقى عقول الامة وادابها .

ولكن كان العلم ضعيف الساعد في ذلك الزمان » فتغلب الفقهاء على رجاله ورموهم بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجروه معتقدين ان العلوم جميعها باطلة الا العلوم الدينية ثم غلوا في ذلك فقرروا ان ما وضعه بعض الفقهاء هو الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد ان يخالفه وكانهم راوا من قواعد الدين ان تُسد ابواب فضل الله على اهله اجمعين »

ثم اثبت المؤلف ان هذا النزاع بين اهل الدين واهل العلم « ولا اقول بين الدين والعلم » قام ايضاً بين الامم الاوربية في القرون الماضية ولكن اهل العلم تغلبوا على اهل الدين بقوة ما اكتشفوه من النواميس والاكتشافات والاختراعات فصار للعلم سلطة عظمى .

وهنا عدّ بعض هذه النواميس والاكتشافات والاختراعات واردفها بقوله :

« فاذا كان التمدن الاسلامي بدأ وانتهى قبل ان يكشف الغطاء عن اصول العلوم كما بيناه فكيف يمكن ان نعتقد ان هذا التمدن كان « نموذج الكمال البشري » . يهمنا ان لا نبخس اسلافنا حقهم ولا ننقص من شانهم ولكن يهمنا مع ذلك ان لا نغش انفسنا بان نتخيل انهم وصلوا من التمدن الى غاية من الكمال ليس وراءها غاية »

« نحن طلاب حقيقة اذا عثرنا عليها جاهرنا بها مهما تالم القراء من سماعها »

« ومن الغريب ان المسلمين في جميع ازمان تمدنهم لم يبلغوا مبلغ اليونان والرومان اي انهم لم يؤلفوا مجالس نيابية تشترك في ادارة المملكة . وقد قيل ان سلطة الخليفة كانت مستمدة من الشعب الذي هو صاحب الامر ولكن هذه السلطة التي لا يتمتع بها الشعب الا بعض دقائق هي سلطة لفظية . واغرب من هذا انهم لم يضعوا قانوناً للعقوبات بل تركوا حق التعذير للحاكم . اما العائلة فلم يرد كلمة واحدة عنها في مقدمة ابن خلدون مع انها وُضعت للبحث في المسائل الاجتماعية . وكان الرجل يطلق زوجته بلا سبب ويتزوج عدة نساء بدون مراعاة حدود الكتاب « فاذا كانت حالتهم السياسية والعائلية هي كما ترى فما الذي يُطلب منا ان نستعيره منها »

. اما من جهة اصول الادب فالمعلوم ان المسلمين لم ياتوا العالم باصول جديدة فقد سبق

المسلمين امم كاليهود والنصارى والبوذيين والصينيين والمصريين وغيرهم وقد كانت تلك الامم تعرف تلك الاصول وضمنتها كتبها ونزلت على بعضها في وحي سماوي .

« فمتى تقرر ان المدنية الاسلامية القديمة هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون ان تكون عليه لا بما كانت في الحقيقة عليه وثبت انها كانت ناقصة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان كان احتجاب المراة من اصولها او لم يكن . ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطات في فهم طبيعة المراة وتقدير شانها فليس خطأها في ذلك اكبر من خطائها في كثير من الامور الاخرى »

« والذي اراه ان تمسكنا بالماضي الى هذا الحد هو من الاهواء التي يجب ان ننهض جميعاً لمحاربتها لانه ميل يجرنا الى التدني والتقهقر ويدل على ضعفنا وعجزنا عن انشاء حالة خاصة بنا . بل هو صورة من صور الاتكال على الغير كان كلاً منا يناجي نفسه قائلاً لها : اتركي الكر والعمل والعناء واستريحي فليس في الامكان ان تاتي بابدع مما كان

ثم قال المؤلف ان الشرقيين يعترفون للغربيين بانهم ارقى منهم في العلوم والفنون والصنائع لان هذه مسائل محسوسة ولكن « كاننا نريد محو العار الذي يلحقنا من هذا الاعتراف وناخذ بثارنا فلا نجد وسيلة لذلك الا ان ندعي اننا ارقى منهم في الآداب »

« ولهذا لا نتردد في ان نصرح بان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشده الامهات من الغناء لتنويم الاطفال »

ثم شرح ذلك شرحاً ضافياً واختتم هذا الفصل بهذا الفكر البديع

اذا كان الحجاب يصون فضيلة المراة ويجعلها كاملة فاضلة فلماذا لا يقتبس الاوربيون هذه العادة ويحجبون نساءهم . هل هم اقل غيرة منا على الاعراض . كلا . اذن فما هو السبب . « السبب هو ان مسالة حقوق المراة وحريتها ليست في الحقيقة مجرد عادة . بل هي مسالة اجتماعية فهي بذلك مسالة علمية »

وهذا من ابلغ ما قيل في هذا الموضوع

الخاتمة

حالة الافكار الآن في مصر بالنسبة للنساء

« يجب على المصريين ان يعتقدوا بان لا رجاء في ان يكونوا امة حية ذات شان

بين الامم الراقية ومقام في عالم التمدن الانساني قبل ان تكون بيوتهم وعائلاتهم وسطاً صالحاً لاعداد الرجال » ولا تصير البيوت ذلك الوسط الصالح الا اذا رُبيت النساء وشاركن الرجال في افكارهم وآمالهم وآلامهم »

« وهذه الحقيقة مع بساطتها و بداهتها اعتبرها الناس يوم جاهرنا بها في العام الماضي (في كتابه تحرير المراة) ضرباً من الهذيان وحكم بعض الفقهاء بانها خرق في الاسلام وقال غيرهم ان الاوربيين يرغبون في تحرير المراة الشرقية للاضرار بنا . فنحن لا نرد عليهم الا بكلمة واحدة « وهي ان الاوربيين اذا كانوا يقصدون الاضرار بنا فما عليهم الا ان يتركونا لانفسنا فانهم لا يجدون وسيلة اوفى بغرضهم فينا من حالتنا الحاضرة »

ثم اثبت المؤلف ان افكار الناس في مصر قد اتجهت الى تربية البنات وتخفيف الحجاب واعطاء المراة حق تطليق الرجل « اذا كان يصلها منه ضرر . والضرر هو ما لا يجوز شرعاً كالهجر بغير سبب شرعي وعدم الانفاق عليها والضرب والسب بدون سبب شرعي » وهذه الكلمات ماخوذة من مشروع ذي ١١ مادة بهذا الشان عرضه فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية على نظارة الحقانية ووافق عليه فضيلة الاستاذ الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر في ٦ ربيع آخر سنة ١٣١٨ . قال قاسم بك « وهاتان المسالتان مسالة تعدد الزوجات ومسالة تحويل المراة حق الطلاق هما من اهم المسائل التي استلفتنا اليها الانظار في كتاب تحرير المراة ويسرنا ان عالماً عظيماً وفقيهاً حكيماً مثل حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده رأى انهما جديرتان بهمته فايد بصوته المسموع ما اقترحنا فيهما »

ثم اختتم قاسم بك كتابه بقوله ملخصاً

لقد اظلنا الوقت الذي يجب فيه ان نعرف ما ذا نريد

« فان كان مقصدنا من الحياة ان يعيش كلٌ منا بضع سنين يقضيها في اي حال كانت واستوى لدينا العز والذل والغنى والفقر والحرية والرق والعلم والجهل والفضيلة والرذيلة فاني ارى ان ما مُنح الى الآن للمراة المصرية من الحرية والتربية لا داعي له . ولا اجد مانعاً من ان يتمتع الرجل بعدة نساء ويتزوج كل يوم امراة ثم يطلقها في اليوم التالي ويسجن زوجاته وبناته واخواته وامه وجدته اذا شاء

« اما اذا كان المقصد هو ما نقرأه ونسمعه كل يوم من ان المصريين يريدون ان

يكونوا امة حية راقية متمدنة فلنا ان نقول لهم : يوجد وسيلة تخرجكم من الحالة السيئة التي تشكون منها وتصعد بكم الى اعلى مراتب التمدن كما تشتهون وفوق ما تشتهون الا وهي تحرير نسائكم من قيود الجهل والحجاب "

هذه خلاصة كتاب قاسم بك . وقد نشرت مجلة المنار المصري ابياتاً لحضرة الشاعر البليغ محمد افندي حافظ الضابط في الجيش المصري يخاطب بها المؤلف منها قوله

اقاسمُ ان القوم ماتت قلوبهم ولم يفقهوا في السفر ما انت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب نسائهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو ان شخصاً قام يدعو رجالهم لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
ولو خطرت في مصر حواء امنا يلوح محياها لنا ونراقبه
وفي يدها العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفهما موسى وعيسى واحمد وجيش من الاملاك ماجت مواكبه
وقالوا لنا رفع الحجاب محلل لقلنا نعم حق ولكن نجانبه

ولم يعضد قاسم بك كثيرون من الفضلاء والشعراء والكتاب فقط بل جاءه عضد من اكبر وزراء مصر عطوفتلو مصطفى فهمي باشا رئيس مجلس النظار . فان عطوفته كتب الى قاسم بك كتاباً بعد مطالعته كتابه « المراة الجديدة » سبقتنا مجلة المقتطف الى نشره وفحواه الثناء على المؤلف لمجاهدته في سبيل مبادئه وثباته في نشرها وتاييدها . فكان لعطوفة الوزير فضل الاشتراك في العمل الادبي الاجتماعي العظيم الذي اقدم عليه قاسم بك . بل كان له فضل اتخاذ هذه المبادىء تحت حمايته واعطائها صبغة شبيهة بالرسمية تُسكت كثيرين عنها

وكفى بذلك دليلاً على الاصلاح الاجتماعي العظيم الذي بدأ في الشرق والذي نرجو استمراره ليثمر الثمر الصالح الذي يسر كل محبي ارتقاء الشرق وذاكري مجده القديم . وما على الله امر عسير

❊ ربع قرن في الصحافة . المقتطف والاهرام ❊ وردتنا رسالة من احد الكتاب بهذا العنوان فاخرناها الى الجزء القادم لضيق المقام . وقد اضطرنا ضيق المجال الى تاخير مقالة اخرى لحضرة الدكتور الفاضل عارف افندي نحاس عنوانها « الطب في مائة عام » فموعدنا بها العدد القادم ايضاً . اما المقالات التي تردنا فالمرجو من اصحابها ان يعذرونا اذا لم ننشرها بعد شهر من ورودها وذلك لعدم استيفائها شروط المجلة

باب تدبير الصحة

الملاريا والدكتور كوخ

نشر الدكتور كوخ المشهور مقالة في احدى المجلات الالمانية ضمنها بعض النتائج التي بدت له من ابحاثه في ايطاليا بشان الملاريا . فقال انه وجد ميكروب الملاريا في دماء المصابين بهذه الحمى ولكنه لم يجده قط في دماء الحيوان ما عدا البعوض (الناموس او البرغش) . ثم قال ان البعوض تنقل هذه العلة الى الجسم الصحيح بلذعها اياه ومتى شفي منها فقد ينتكس بدخول الميكروب مرة ثانية الى دمه بواسطة لذع البعوض فيجب الحذر منها . ولكنه وجد في كثير من المنازل بعوضاً في دمائها ميكروب الملاريا دون ان يكون في المنازل مريض بها ووجد مرضى بالملاريا دون ان يجد في دماء بعوض المنازل ميكروب هذا الداء

منافع الغليسرين البيتية

يُستعمل الغليسرين في الطب لشفاء القشف والشقوق التي تحدث في اليد ويعطى شيء قليل منه لمداواة رطوبة الاجسام . على ان له منافع اخرى جديرة بالذكر منها استعماله لغسل الامتعة والملابس البيضاء وذلك باضافة ملعقة صغيرة منه الى سطل ماء . ودهن الاحذية والجزمات به في المساء اذا كانت قد ابتلت بماء او جفت في الوحل وفي الصباح يُزال عنها فتعود الى اصلها . ويستعمل في العجين او الحلواء اذا اريد ان لا تكون لينة كثيرًا ولا ان تجف سريعاً . واذا اضيف الغليسرين الى المربيات حفظها من سرعة الجفاف والتبلور وهو الامر الذي تستاء منه ربات المنازل كل الاستياء

ادوية العرب والافرنج

كان ابن سيناء يصف السكر للمصابين بامراض الصدر واليوم يصف الاطباء في المانيا السكر للمصابين بالامراض الرئوية . وكان من ادوية العرب تجفيف رئة الثعلب واطعامها للمريض بالرئة واليوم يصف كثيرون من اطباء الافرنج لمرضاهم ان يتناولوا لمداواة الاعضاء المصابة فيهم اعضاء مثلها من اعضاء الحيوان . فلا جديد تحت الشمس كما قال المتقدمون

اجادة طبخ الارز

يجود طعم الارز اذا غُسل بالماء الحار بدلاً من الماء البارد قبل طبخه . ويراد بالغسل هنا ما تسميه الطباخات في لغتهن العامية (التصويل)

صباغ للشعر لا يضر جلد الراس

امزج ٥ غرامات من اسيتات الرصاص و٢٠ غراماً من هيبوسولفيت الصوده وغرامين من الغليسرين و٢٠٠ غرام من ماء الورد يكن لك الصباغ المطلوب

الانة جلد الاحذية وغيره

لالانة جلد الاحذية ومنعها من التصويت حين السير طريقة وهي مسح الجلد بزيت البترول مراراً فيصير في منتهى اللين

جعل الجوز اليابس اخضر

اذب ملحاً في الماء وانقع ثمار الجوز اليابس فيه فلا يفسد الماء لان الملح يحفظه بل يدخل من القشرة الى اللب ويلينه وينفشه فيكون له لين الجوز الاخضر وطعمه

زكام الدماغ

وصف بعض الاطباء لزكام الدماغ ان يستنشق الانسان قليلاً من مسحوق الملح الناعم فيزول الزكام باسرع ما يمكن . وقال ان تجربة ذلك خير من الجلوس في الكرسي وقضاء الوقت في عصر الانف بالمنديل

دواء الدجاج

قد تصاب الدجاج بمرض فاحسن دواء لشفائها منه ان يمزج طعامها بدقيق ناعم من الكلس الجاف فتشفى ويكثر بيضها ايضاً

الاستحمام بماء عذب خواصه كماء البحر

اذا كنت بعيداً عن شاطئ البحر واردت الاستحمام بماء له خواص مائه فاذب ثمانية كيلو غرامات من ملح البحر و٥٠٠ غرام من سولفات الصوده و٧٠٠ غرام من ملح الكاسيوم وكيلوغرامين و٩٥٠ غراماً من ملح المنازيا و٣٠٠ ليتر من الماء فيكون لك ماء ذو خواص كخواص ماء البحر

باب الاخبار العلمية

الطرق الرومانية في فلسطين

واكتشاف روماني فيها

كان الرومانيون مشهورين بانشاء السكك الحربية والزراعيه وقد وضع بوتنجر خريطة رسم فيها الطرق التي انشئوها في سلطنتهم الواسعة ولكن خريطته لا تزال ناقصة . ويقدرون طول الطرق التي انشاها الرومانيون في غاليا (فرنسا اليوم) بثلاثين الف كيلومتر ولا يزال العلماء يكتشفونها الى هذه الايام

وقد كانت فلسطين جزءا من السلطنة الرومانية فانشأ فيها الرومانيون سكة طويلة من اورشليم " القدس " الى دمشق الشام وهي اقوى سكة انشئوها لانها لا تزال موجودة الى هذه الايام وقد تثبت في وجه الدهر قروناً طوالاً ايضاً

الا انه من الاسف انهم اخذوا يعبثون بهذه الطريق التاريخية الجميلة فانه لما زار جلالة الامبراطور غيليوم القدس انشاوا له طريقاً الى جبل زيتون . فهذه الطريق انشئ قسم منها على آثار الطريق الرومانية القديمة التي كان يجب حفظها اثراً خالداً لاهتمام السياح بها اهتمامهم بباقي الاثار التاريخية . فحبذا لو اهتمت الحكومة بهذا الامر ومنعت منشئي الطرق الجديدة من تخريب تلك الطريق القديمة

وقد اتصل بنا ان احد منشئي هذه الطرق عثر في الطريق الجديدة التي ينشئونها الآن بين القدس ونابلس المعروفة في التاريخ القديم باسم سيشم من اعمال السامرة — حجراً كان مدفوناً في الارض وهو عبارة عن علامة او منار كان ينصبه الرومانيون على الطريق لتقسيم المسافة ويضعون حجراً مسافة كل ميل روماني « والميل الروماني قريب من الميل الانكليزي في هذا الزمان » وينقشون عليه النقوش التي تدل على عدده . اما الحجر الذي نحن في صدده فانه وجد على مسافة ثلاثة كيلومترات ونصف من القدس وعلى احدوجهيه هذه الكتابة

IMPNERV ...
AVGPONTI..M ...
TRIBVN ...

وما سوى ذلك من الحروف التي كانت تلي الحروف التي تقدمت فان الزمان قد طمسها

اما صفحة الحجر الثانية فكان عليها ما يلي

..PCÆSAR
.... NVSAVG

ثم يلي هذين السطرين سطر ثالث حروفه اكثر من حروف كل واحد منهما و يرجحون انهم قرأوا فيها اسم فسباسيين الامبراطور الروماني الذي اكتسح فلسطين قبل ارتقائه الى العرش في عام ٦٩ بعد المسيح · وان هذا الحجر نصب تذكاراً لجلوسه

واما الكتابة الاولى فالمظنون انها منقوشة في ايام الامبراطور نرفا الذي حكم في عام ٩٦ بعد المسيح لان اسمه ورد في السطر الاول وهو « الامبراطور نرف ٠٠ » من غير الفا تلي الفاء لامحاها بكرور الايام

ومما هو جدير بالذكر انه يوجد الآن في الكابيتول في رومه حجر يشبه الحجر الذي نحن في صدده من كل الوجوه حتى في الكتابة التي عليه · وقد كان هذا الحجر علامة موضوعة في بداية سكة عسكرية كبرى ممتدة من رومه الى ما حولها من المدن · ولذلك حار العلماء في تشابه هذين الحجرين مع بعد مكانيهما

صدور الجامعة

وسبب تاخيره في السنة الثانية

(السنة الثالثة)

اصدرنا هذا الجزء في مائة واربع وعشرين صفحة اي جزءاً ونصفاً من الاجزاء الاعتيادية فيبقى من الجامعة لتمام سنتها الثانية جزء ونصف ايضاً

اما سبب هذا التأخير في صدور الجامعة فاذا كنا قد سكتنا عنه في الماضي فقد صار لا يحسن السكوت عنه الآن ولا سيما لما وردنا من الاسئلة بهذا الشان ولذلك نرى من واجباتنا الآن ان نقول الحقيقة ونبسط لحضرات القراء السبب الحقيقي الذي جرَّ هذا التاخير ليكون عذرنا مقبولاً لديهم فالعذر عند كرام الناس مقبول

فكل واحد من حضرات القراء يعلم ان الجامعة كانت تصدر في كل شهر مرتين في سنتها الاولى · وقد بقيت على هذا الترتيب حتى اصبنا بفقد العزيز الذي اثرت فينا

وفاته التاثير الذي عرفه القراء والاصدقاء فطراء علينا بعد ذلك ضعف استشرنا الاطباء فيه فحكموا علينا بالانقطاع عن العمل او بتخفيفه على الاقل اذا اردنا ان لا تسوء العاقبة . ففي ذلك الحين كانت الجامعة في خطر حقيقي لم يدرِ به احد من قرائها واصدقائها حتى اخص اخصائها . ولكن لم نجهل ان الجامعة ليست لنا ولكنها لقرائها ومبادئها وللجمهور الذي نصبت نفسها لخدمته ولذلك لم نتردد في مخالفة قول الاطباء ومداومة العمل متكلين على الله ومستمدين معونته

وكأنَّ العناية الالهية تريد بالجامعة خيرًا فردت الينا شيئًا من القوة بعد ذلك الضعف الشديد . فلما اخذنا نسترد القوة والامل اقترح علينا سعادة المفضال تقلا باشا مدير جريدة الاهرام ان نتولى رئاسة تحرير جريدة « صدى الاهرام » اليومية التي كانت تطبع في الاسكندرية فرضينا بذلك مع ضعفنا وذلك للسبب التالي

لقد علمنا يومئذٍ ان سعادته لاشتغاله في العاصمة بادارة جريدتيه الاهرام العربية والفرنسوية ومطبعته الكبرى لا يكره التخلص من ادارة صدى الاهرام . ولما كنا نرى ان الخدمة الصحافية اليومية اشد تاثيرًا على نفوس القراء من الصحافة الشهرية او النصف شهرية لان تاثير الصحافة اليومية يومي متتالٍ لا يدع الوقت سبيلاً للذهاب به وكانت الجامعة قد اصبحت بما وصلت اليه من النمو والانتشار السريع محتاجة الى ادارة كبرى تنجز طبعها ونشرها واتقانها بالسرعة اللازمة عزمنا حين رضانا باستلام رئاسة تحرير « صدى الاهرام » على ان نسهل لسعادة صاحبها سبيل بيعها مع ادارتها للجامعة بالشروط التي يريدها والثمن الذي يطلبه . ولما اقترحنا على سعادته هذا الاقتراح رضي به قبل سفره الى اوربا في الصيف الماضي وانما كان الخلاف في تغيير اسم " صدى الاهرام " باسم آخر . فعلمنا اننا اصبحنا قريبين من غرضنا وهذا سبب بقائنا في تحرير صدى الاهرام مع ان ذلك زاد تاثيرًا على صحتنا وجعلنا نصدر الجامعة في كل شهر مرة بدلاً من المرتين واخر مواعيد صدورها لاستنزاف الصدى اليومي قوانا وافنائه احسن اوقاتنا ومع ذلك فاننا كنا محتملين ذلك لاننا كنا نحسب انفسنا اننا انما نشتغل عن الجامعة بها اي بتدبير مطبعة وادارة كبرى تسعها

ولكن لما عاد سعادة مدير الاهرام من اوربا في اوائل الشتاء وجد ان بيع (صدى الاهرام) لا يوافق مصلحة الاهرام التي في العاصمة وهذا امرٌ حقٌ لا خلاف فيه ولا يجوز ان يُشكى منه فاختار اقفال (صدى الاهرام) على بيعها فاسفنا على قطع تلك الزهرة التي

سئمناها سنة كاملة من عرق القربة ولكن لم نأسف على خيبة آمالنا وما اضعناه في الصدى من القوة والوقت اللذين كانت الجامعة احق بهما لاننا ربحنا في مقابلة هذه الخسارة صداقة وصحبة رجل فاضل كسعادة مدير الاهرام وقد قال شعراء اليونان الاقدمون (ان صداقة الكرام نعمة من الآلهة)

هذه هي الاسباب التي دعت الى تأخير صدور الجامعة عن مواعيدها في الاشهر الماضية . ونحن على يقين من ان حضرات القراء يعذروننا فيها لاننا كنا نشتغل عنهم بهم كما قدمنا

ولنا رجاء آخر نوجهه الى جمهور من الاصدقاء والقراء في مسالة نسميها مسالة الرسائل فان كثيرين من الاصدقاء والمعارف كتبوا الينا مرارًا من جميع الجهات القريبة والبعيدة التي تصل الجامعة اليهـا حتى اقاصي الهند وايران والقوقاز واميركا يثنون على الجامعة ثناء يدل على لطفهم ورغبتهم في مساعدة العلم والادب والمشتغلين بهما فكانت كل الرسائل الخاصة بغير الامور الادارية للجامعة تبقى بلا جواب للانحراف الصحي الذي طراء علينا ووصفناه في مقدمة الكلام . وقد علمنا ان كثيرين من الاصدقاء والقراء قد عتبوا علينا لاننا لم نجاوبهم وبعضهم اوصل الينا هذا العتب بطريقة مؤلمة فنحن نؤمل ان يعذرونا عن الماضي بعد اطلاعهم على هذه الاسباب لا سيما اذا علموا ان الرسائل التي نشير اليها تبلغ المئات . اما فيما يختص بالمستقبل فاننا نعدهم باننا نقوم بما يجب علينا لهم لانه ليس شيء اكثر مسرة من مخاطبة كرام القراء والادباء الذين مع كونك لا تعرفهم وكونهم بعيدين عنك تجمعك واياهم رابطة الافكار الصحيحة والمبادىء القويمة

اما فيما يختص بمستقبل الجامعة فاننا سنعلن بعد صدور العدد القادم عن التحسين الجديد والترتيب الجديد الذي سنشرع فيه منذ بداية السنة الثالثة والذي لا ريب لدينا في انه سيقع لديهم احسن وقع وينسيهم كل ما راوه في الجامعة من حسن الى الآن . وبعد صدور العدد القادم ودخول السنة الثالثة سينتظم سير الجامعة كما يجب فلا يبقى فيه ادنى تاخير البتة لاننا نكون اعددنا لها ايضًا جميع المواد والآلات اللازمة لسرعة انجازها . وربما عدنا الى اصدارها مرتين في الشهر كما كانت في السنة الاولى اذا كان يطلب ذلك اكثر من نصف القراء

فالرجاء من قراء الجامعة ومشتركيها سبل ذيل المعذرة على هذا التاخير الذي اوجبته الاسباب الصحية والصحافية التي تقدمت وابقاء ثقتهم وعنايتهم الجلة لا غرض لها الاخدمتهم

ولا ربح ترجوه الان من هذه الخدمة غير القيام بالواجب من سد فراغ في الصحافة الشرقية العربية وآخر رجاء لنا ان يعذرونا لاضاعة وقتهم بهذه الشؤون الخصوصية التي لم نذكرها لا لاطلاعهم على حقيقة الحال لنستحق معذرتهم والله المستعان وهو حسبنا وعليه الاتكال

باب التقريظ والانتقاد

﴿ تاريخ دولة آل سلجوق ﴾ ضاق الجزء السابق وهذا الجزء عن ذكر جميع ما اهدي الينا من الكتب والمطبوعات الجديدة . ومن هذه الكتب كتاب تاريخ دولة آل سلجوق تأليف الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية على نفقتها « لاحتوائه على تاريخ دول اسلامية مكثت نحو قرن ونصف ولم يوجد لها للان مؤلف خاص بها » وهو يطلب من الشركة في مصر او من ادارة جريدة المؤيد فنكرر لشركة طبع الكتب ثناءنا على سعيها الحثيث في خدمة الادب

﴿ المرأة الجديدة ﴾ هذه هي المرة الثالثة التي نكتب فيها عن كتاب قاسم بك امين في هذا الجزء . وليس الغرض من الكلام الآن تقريظ هذا الكتاب او انتقاده فقد كفانا مؤونة التقريظ والانتقاد تلخيصه في باب التربية والتعليم وانما نقول هنا آخر كلمة عن كتاب قاسم بك وهي ان الاوروبيين يعيرون ابناء الشرق الذين يدرسون في مدارسهم في اوروبا بالانقلاب عليهم حين عودتهم الى اوطانهم كمن يشرب من بئر ثم يلقي فيها حجراً . فقاسم بك بتغليبه العقل على الهوى في ما قاله عن التمدن الاووربي كفَّر عن اعمال جميع الشرقيين الذين يصح فيهم ذلك التعيير وارى عقلاء الغربيين ان في الشرق من يفهم التمدن الصحيح و يعترف بالحق ولو كان في جانب الخصوم

ومن جهة اخرى فان النساء كن وما زلن في الشرق مهضومات الجانب مستبعدات رقيقات كما قال قاسم بك . ولكن كتاب المرأة الجديدة ينتقم لهن من مستعبديهن انتقاماً شديداً . فهنيئاً لمن يكون قاسم بك محامياً له

ولا نجهل ان ابحاث هذا الكتاب لا تعنينا وان لا شأن لنا في الدخول فيها ولكننا

نعتبر اهداء الكتاب الينا بمثابة طلب راينا فيه ولذلك لم نبدِ رايًا في كتاب تحرير المراة حين صدوره لان المؤلف بخل به يومئذٍ علينا

﴿ تاريخ الانشقاق ﴾ تمَّ تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية لحضرة مؤلفه العالم العامل الارشمندريتي جراسيموس مسرة رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسيه في الثغر فصدر الجزء الثالث منه وهو الاخير . ويبتدئ هذا الجزء من استرجاع القسطنطينية الى قبضة الروم في عهد القيصر ميخائيل باليولوغوس بعد استيلاء اللاتين عليها حتى فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح . وقد اهدانا حضرة المؤلف نسخة منه فنشكر له هديته

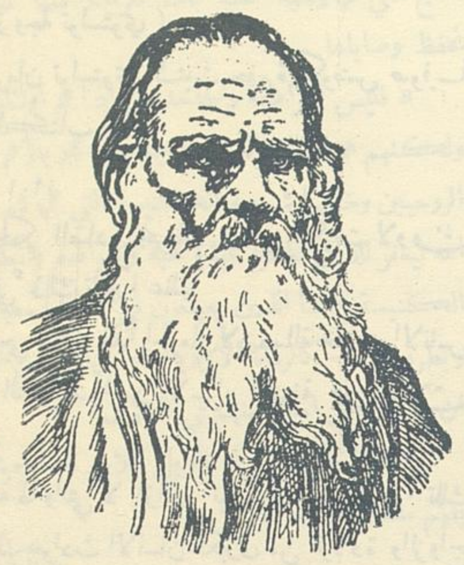
تاريخ الاسبوعين

الفيلسوف تولستوي

الفتنة في روسيا . اسباب استياء الطلبة . صورة الحرمان الجديد . كتاب زوجة تولستوي الى المجمع . ردافترائهم عليه بنسبة الحض على الفتنة اليه . ترجمة كتابها الى اللغة العربية

(اسباب الفتنة)

ثار تلامذة بطرسبرج وكييف وموسكو في الاسبوع الثالث من مارس على حكومة روسيا فصدر امر جلالة القيصر باقفال جميع الكليات فيها . اما اسباب استياء التلامذة فهي (اولاً) شكواهم من شدة مراقبة عمال الحكومة للتلامذة الذين تنزع نفوسهم الى الدروس العالية الحرة التي لا يُقصد بها اقتباس صناعة (ثانيًا) تداخل البوليس بالقوة في الخلاف الذي يقوم بين التلامذة ومعلميهم (ثالثًا) طلبهم ان يقام قداس عن نفس اسكندر الثاني محرر الفلاحين ورفض الاكليروس ذلك لعدم صدور امر من الحكومة به . (رابعًا) اصدار المجمع المقدس الروسي العالي قرارًا بحرمان الفيلسوف لاون تولستوي من الكنيسة حرمانًا قطعيًا بعد القرار الذي اصدره في ٣١ مارس من



الفيلسوف تولستوي (١)

العام الماضي بتحريم الصلاة على جثة تولستوي بعد وفاته . وهذه صورة صك الحرمان الجديد نقلاً عن جريدة المؤيد الغراء

(صورة الحرمان الجديد)

« ان الكونت تولستوي بكتاباته وخطاباته قد حاد عن نهج الصواب وزاغ عن محجة الكنيسة الارثوذكسية وفي هذا ما يلقي الاسف الشديد والحزن العظيم في قلوب الامة الارثوذكسية و ياليته جمح في غواياته سرًا و بدون ان يطلع احدًا على نفسه بل هو جاهر بالضلال بعمد وسبق اصرار

"وحيث ان كل المساعي التي بذلت لارشاده الى طريق الحق قد ذهبت ادراج الرياح فقد اعتبرته الكنيسة محرومًا منها وغير تابع لها ما دام على ضلاله وسوء فعاله . ومع اعترافنا بانه انكر الكنيسة وعدل عنها نطلب له من الاله الانابة الى الصواب والحق ونبتهل اليك ايها الاله الرحيم الذي لا تريد ان يموت الخاطئون في خطيئتهم ان ترشده الى طريق كنيستك المقدسة آمين » ثم تلي اسماء اعضاء المجمع

(هياج الطلبة)

فلما صدر هذا الامر بلغ الهياج من التلامذة كل مبلغ لحبهم تولستوي وافتخارهم به على فلاسفة اوربا فقدم مئات منهم عرائض الى المجمع يطلبون ان يُحرموا هم ايضًا وذهب بضع مئات منهم الى الكنيسة الكاتدرائية فصنعوا فيها اعمالاً خشنة مثل الصراخ والضحك والتدخين ورشق الايقونات بالحجارة فهاجمهم البوليس والقوزاق فحدث قتال شديد بينهم انجلى عن كثيرين من الجرحى و بعض القتلى في رواية جريدة التمس . ثم اطلق موظف روسي من موظفي الاقاليم اربع رصاصات على نائب المجمع المقدس فاخطأه من حسن الحظ . وقد بلغ عدد الذين القي القبض عليهم من التلامذة اكثر من سبعمائة نصفهم من الطالبات

(١) انظر ترجمته و وصف اخلاقه وفلسفته ومبادئه في العدد السابع والثامن من هذه السنة

(احتجاج زوجة تولستوي)

ولما نشرت الجرائد الروسية صورة حرمان تولستوي كتبت حضرة الكونتس صوفيا تولستوي زوجته الى المجمع المقدس ونائبه الكتاب التالي

موسكو في ٢٦ فبراير الموافق ١١ مارس سنة ١٩٠١

« قرأت في جميع الجرائد صورة الحكم الصادر بحرمان زوجي الكونت لاون نيكولايفيتش تولستوي من الكنيسة فاثر في ذلك تاثيرًا عظيماً

« وليس ذلك لاني اعتقد ان نفس زوجي تهلك لهذا الحرمان لان مسالة خلاص الانفس مسالة مختصة بالله وحده . ولا تزال حياة النفس سرًا من الاسرار العميقة ومن حسن الحظ انه لا سلطة للبشر عليها

« ولكني لما ارى الكنيسة التي انا تابعة لها والتي لا ازال اتبعها تحرم وتضطهد . تلك الكنيسة التي انشأها المسيح باسم الله لتبارك حوادث الانسان الكبرى من الولادة والزواج والموت . والتي وظيفتها النداء بناموس الرحمة والصفح والدعوة الى محبة اعدائنا والذين يبغضوننا . والتي يجب عليها ان تصلي من اجل الجميع — لما ارى ذلك لا اعود افهم شيئاً مما جرى

« اما اذا كان القصد من حرمان لاون نيكولايفيتش تنفير الناس منه واستمالتهم عنه فهو خطأ لان جميع الناس زادوا تعلقاً به وميلاً اليه وسخطوا من هذا الحرمان ولا تزال تردنا الشواهد على ذلك من جميع اقطار العالم

« ثم اني اقول لكم ايضاً كلمة بشان ما قررتموه قبلاً من عدم الصلاة على جثة زوجي بعد مماته والامتناع من دفنه بموجب طقوس الكنيسة . فمن قصدتم بهذا القرار ؟ هل تقصدون به الموت او جثة الانسان الجامدة . او اقرباءه الذين يؤمنون ؟ واذا كان هذا القرار تهديداً فالى من يوجهون هذا التهديد ؟ وماذا يقصدون ؟

« وهل يظنون حقيقةً انني لا اجد للصلاة على جثة زوجي كاهناً صالحاً مستقلاً عن الناس لاهتمامه برضى الله الحقيقي اله المحبة والغفران لا برضى الناس . او كاهناً فاسداً انال منه مرادي بواسطة المال

ولكني لا احتاج الى هذا الامر مطلقاً لانني اعتبر الكنيسة بناء روحيا لا ماديا ولا اعرف لها رؤساء الا الذين يفهمون حقيقتها ويعملون طبق وصاياها . ولو كنت اعتبر ان الكنيسة هي عبارة عن مجمع بشري لا يتردد احياناً لرداءة البشر عن مخالفة اعظم وصايا

المسيح التي هي وصية المحبة لكننا خرجنا منها منذ زمان طويل نحن ابناءها الذين نحفظ وصاياها

« فليس الهراطقة والجاحدون اذاً هم اولئك الذين يضلون وهم يفتشون عن الحقيقة ولكنهم هم اولئك الذين لما جعلتهم كبرياؤهم رؤساء للكنيسة نزلوا انفسهم منزلة القتلة الروحيين وخالفوا شريعة الكنيسة التي هي شريعة المحبة والتواضع والصفح والرحمة . وان الله ليغفر للذين عاشوا عيشة المحبة والتواضع وانكار الذات وترك ملاذ العالم ولو ماتوا خارج الكنيسة . اما الذين يعيشون في داخلها معيشة الفخفخة ويملأون صدورهم بالنياشين ويطردون — كالرعاة الاردياء — الناس من الحظيرة التي هم رعاتها فلا ريب انه يجب ان يكونوا اقل املاً منهم في الغفران

« واذا حاول الرياء تاويل كلامي هذا نعبثاً يحاول لان العقل السليم لا ينخدع بل يفهم مقصودي منه »

« الكونتس صوفيا تولستوي »

انتهى كتاب زوجة تولستوي . اما تولستوي فانه لم يبالِ بامرٍ بل بقي مستمرًا في طريقه يشتغل بالكتاب الذي هو الآن بين يديه وموضوعه معيشة الرهبان والاكليروس في روسيا . وقد نسبوا اليه انه راضٍ عن هذه الفتنة محرض عليها وهذا خطأ يكفي لرده الاستشهاد بما قالته جريدة الرقيب وهذا نصه

(هل يحرض تولستوي على الفتنة)

" لقد قالت شركة روتران الفيلسوف تولستوي كان من اكبر المحرضين على هذه الثورة وهذا القول خطاء محض لان الذين طالعوا مؤلفات هذا الرجل الكبير لا يرتابون في انه من اعداء كل فتنة واضطراب لاعتقاده انهما لا تجديان نفعاً وان من اخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ . وما عدا ذلك فقد قال في بعض كتبه ان الذين يحاولون قلب هيئة الحكومة في هذه الايام بواسطة الثورات يخيبون سعياً . ذلك ان لكل حكومة جيشاً عظيماً تكبح به جماح الثائرين ولديها السكك الحديدية والتلغراف والتلفون وكلها عمال شديدة التاثير في كبح الثورات . فلا يحاول الناس امرًا مستحيلاً في هذه الايام فان الثورة تنقلب على مثيريها لقوة الهيئة الحاكمة

"فهذا الكلام صريح يدل على بغض تولستوي للثوره خلافاً لما يتهمه به خصومه

نقول وقد قرانا هذا القول في كراس لتولستوي عنوانه « اين المخرج » ربما لخصناه في

احد الاجزاء القادمة · اما الان فاننا نوجه الانظار الى اعلان على ظهر المجلة عن كتاب تولستوي الذي عزمنا على نقله الى اللغة العربية بناءً على الحاح كثيرين من الاصدقاء والقراء وقد قلنا في العدد السابع ان المجمع المقدس الرومي الكريم قد اخطأ بحرمانه تولستوي «لان الضغط يسبب الضغط دائماً» فيحكم العقلاء بعد الفتنة الروسية اذا كان ما قلناه يومئذٍ خطاءً او صواباً

✵ ميشل حكيم ✵ نعينا الى قراء الجامعة في الجزء السابق شاباً من مريديها الادباء وهو المرحوم ميشل جرجس حكيم من اسكلة طرابلس الشام · توفاه الله بالحمى التيفوئيدية وهو ممتلي الجسم صحة والصدر ادباً وكان رحمه الله من الشبان الذين يرجى الخير منهم لاهلهم ولوطنهم فقصفته المنية في زهرة شبابه وتركت آله يندبونه بعد ان كانوا بنيطون به الآمال · وقد عرفنا الفقيد رحمه الله مدة ثلاث سنوات فنحن نبكي فيه تلميذاً عرفنا فيه الذكاء والنشاط مدة ثلاث سنوات قبل دخوله الكلية الاميركية في بيروت ولا تزال رسائله لدينا تدل على رغبته في الادب واخلاصه وحسن اخلاقه · واحسن رثاء نوفيه به حقه هو اقتطاف بعض ابيات من قصيدة نظمها شقيقه حضرة الاديب نعمان افندي حكيم اظهاراً لعظم الخطب فيه · قال في المطلع

اسمعت ام لم تسمع بثي	وتوجعي وتصعد الزفرات من قلب بنار مولع
باخي لقد حكم المنو	ن وحكمه لم يُدفع واغتاله الدهر الخؤو ن وسعينا لم ينفع
لم يقتبل عنه فدى	و بغيره لم يقنع نسج التراب لوجهه الـ باهي سواد البرقع
ياليت يومك يا اخي	قد كان فيه مصرعي عجباً انادي يا اخي لم لا تجيب ولا تعي
اصرمت حبل اخائنا	وقطعت ما لم تقطع يا شمس مات اخي حبيبي بعده لا تطلعي
يا بدر غب قد غاب	بدري في خراب بلقع ابكي الشباب وعوده الغض الاهاب الاينع
ابكي وكل الناس حتى	الصخر يبكيه معي فلا بكينك يا اخي ما دام دمعي طيعي

فنشارك آل الفقيد في مصابهم ونسال الله ان يلهمهم الصبر الجميل ويتغمد العزيز ميشل بالرحمة والرضوان

نعزي حضرة الوجيه الفاضل انطون افندي الخوري من كبار تجار يافا عن وفاة المرحومة المبرورة قرينته عنيفه الخوري ونسال الله ان يتغمدها برحمته ورضوانه و يلهمه مع سائر آلها جميل العزاء والسلوان

ولكني اطلب منك اذا كان لاخيك الفقيد امراة واولاد ان تاتيني بهم على عجل فان الملكة تتولى شان المراة وانا اتولى شان الاولاد

ولم يأتِ الكونت دي شارني على هذا الكلام الذي قاله له الملك حتى رات زوجته الكونتس اندري الدموع تجول في عينيه من ذكرى اخيه فابتلت عيناها بالدموع ايضاً وقالت له · لا ريب ان الملكة قد سبقت فقالت لك ايضاً مثل هذا القول

ولما لفظت اندري اسم الملكة حدقت في وجه زوجها · فقال شارني

الملكة لم تذكر لي كلمة بهذا الشان · الملكه لم تحدثني عنه كانها تجهل ان اخي جورج قد قُتل في سبيل الدفاع عنها · ولذلك اجد في نفسي ارتياحاً كلما ذكرت كلام الملك وعلى الخصوص قوله الاخير الذي اختتم به كلامه

فانه لما رآني قد اغرقت في البكاء حين طلبه راجع نفسه وقال قد اخطأت في انني خاطبتك بهذه اللهجة فانني اعرف مبلغ حزنك ومصابك · فاذهب الآن يا كونت · اذهب الى عزيزتك اندري لتعزيك عن مصابك فان المصائب في الاحياء لا يعزي عنها غير الاحياء وقد جئت ايتها السيدة بناءً على امر الملك فارجو منك المعذرة

وكانت اندري قد تاثرت اشد تاثر من كلام الكونت فنهضت ومدت يديها الى الكونت قائلة هل ترتاب في سروري بلقياك ياسيدي

ولكن اندري لم تمد الى الكونت يديها حتى قبض الكونت عليهما وطبع عليهما قبلتين بفمه الملتهب فصاحت اندري صياحاً ضعيفاً وسحبت يديها من يديه كأن النار احرقتهما ثم انطرحت على المقعد ثانية

غير ان يديها في انسحابهما سحبتا معها يدي الكونت زوجها فلم تشعر الكونتس الا والكونت جالس على المقعد بجانبها من غير ارادتها ولا ارادته

وفي هذه الدقيقة سمعت اندري حركة في الغرفة التي خبأت فيها سيباستيين فاجفلت عند ذكرها ابنها ونهضت مذعورة من جانب الكونت · فحسب شارني هذا الاجفال فراراً منه فضغب ونهض قائماً بنزق فصار بازائها وجهاً لوجه

الفصل العاشر

﴿ غرفة نوم اندري ﴾

وكانت اندري حينئذٍ بين امرين . حب ابنها وحب زوجها

ذلك ان هذه الامراة التي تزوجت الكونت دي شارني بناءً على ان تكون زوجته بالاسم فقط عملاً بارادة الملكة التي كانت تحب الكونت قد اصبحت الآن بعد انقضاء سنوات على هذا الزواج الاسمي تحب زوجها حباً شديداً . وقد سعت فتخلصت من قصر الملكة لتتمكن من مقابلة زوجها على انفراد فتم لها ذلك ولكنها ما كادت تدرك غرضها من حب زوجها حتى وجدت ولدها الذي كان قد سرق منها . فكان ذلك مصاباً جديداً لها لان حب ابنها كان يقضي عليها بابعاد زوجها وحب زوجها يقضي عليها بابعاد ابنها

ولما نهض الكونت شارني وصار بازائها وجه اليها الحديث بلهجة جدية فقال . والآن ماذا اقول للملك ايتها السيدة الا تعودين الى القصر كما طلب

فقالت اندري متنهدة كلا ياسيدي وارجوك ان تبلغ شكري الى الملك

فتنهد الكونت وقال ولكنك ستكونين وحيدة فريدة في هذا المنزل ياسيدتي

فابتسمت اندري ابتساماً ذا معنى خاص وقالت لقد تعودت معيشة الوحدة ياسيدي . افما عشت هكذا طفلة وفتاة و . . .

ثم توقفت عن الكلام فقال الكونت اتمي العبارة ياسيدتي

فقالت . نعم كان في خاطري ان اقول انني عشت هكذا طفلة وفتاة وزوجة

فقال الكونت هل تقصدين ياسيدتي توبيخي بهذا القول . فقالت اندري كلا ياسيدي وكيف يسوغ لي ان الومك على امر لم نتعاهد عليه . فان الازواج يتعاهدون حين عقد الزواج على الحب والطاعة والعناية . اما نحن فلم نتعاهد حين الزواج الا على الانفصال وعدم الاكتراث . فكيف يسوغ لي ان الومك

وكانت اندري تقول هذا القول وعيناها تبرقان برقاً غريباً يدل على النار التي يقدحها زناد الحب في احشائها . وكذلك كان الكونت زوجها . ولكن كل واحد من هذين الزوجين كان يجهل ما في نفس الآخر

و بعد برهة استانف شارني الكلام فقال . وعلى افتراض انك تعودت الوحدة ياسيدتي فانني لا ارى هذا المنزل لائقاً بمقامك . فقالت اندري انت تذكر ايها الكونت انني ولدت

فيه وهو تذكار من ابي فضلاً عن انني لا احب البذخ كثيراً · فقال الكونت اعرف ذلك ولكني لا اظنك تستريحين فيه لحقارة شانه · فقد شاهدت في دخولي بعض غرفه وهاءنذا اشاهد ما بقي منها لابرهن لك على انها غير لائقة بك

قال الكونت دي شارني هذا القول ثم اتجه صوب الغرفة التي كانت امامه ليفتحها وكانت هذه الغرفة هي الغرفة المخبوء بها سيباستيين

فلما رأت اندري الكونت يخطو نحوها اقشعر جلدها وارتعدت فرائصها فاسرعت كالبرق الخاطف الى الكونت ووقفت في وجهه بينه وبين الباب وصاحت باضطراب وذعر · ارجو منك ياسيدي ان لا تدخلها

فلما راى الكونت ذلك اخذ الحزن والغضب كل ماخذ منه لانه حسب ان اندري تمنعه من دخول الغرفة لانها غرفة نومها · فقال بنزق والدموع في عينيه · كنت اعلم ايتها السيدة انك لا تحبينني ولكنني ما علمت قط انك تبغضينني الى هذا الحد

قال ذلك ثم استجمع قواه وانخطف من امام اندري بغضب وخرج من المنزل ليركب مركبته

اما اندري فانها بقيت تنظر اليه في خروجه حتى توارى عن عينيها ثم اصغت لتسمع حركة مركبته وبقيت مصغية اليها حتى تلاشى صوتها فتنهدت تنهداً خفيفاً ثم فتحت باب غرفة نومها ودخلت مسرعة وهي تنادي : سيباستيين سيباستيين

ولكن لم يجاوبها احد في الغرفة · فنظرت في جهاتها الاربع بنظر حائر وقلب مضطرب فلم تجد احداً · فنادت ثانية سيباستيين سيباستيين فلم يجاوبها احد ايضاً · فعظم اضطرابها واشتد قلقها على ولدها · وحينئذٍ احست بنسيم داخل فالتفتت الى الجهة التي هب النسيم منها فرأت نافذة مفتوحة فعلمت في الحال ان سيباستيين قد فرَّ منها

فاغرقت اندري حينئذٍ في الندب والبكاء لانها فقدت كل شيء حين حسبت انها وجدت كل شيء · فقدت زوجها الذي راح ساخطاً منها وفقدت ابنها الذي فرَّ من تلك النافذة · فانطرحت حينئذ على سرير هناك واطلقت العنان لحزنها وياسها فبقيت عليه تبكي وتلتهب مدة ساعة وقد بلغت نفسها حد الياس والتعاسة الذي يتمنى التعساء عنده ان يفنى هذا الكون ويتلاشى ليفنوا معه ويستريحوا من شقائهم

وبينما هي على هذه الحالة واذا بها تشعر شعوراً غريباً · فان جسمها اصبح مضغوطاً واعضاءها مضطربة ونفسها مثقلة كما تثقل في العادة قبل ان تصاب بالنوبات العصبية · ثم

احست ايضاً بان قوة غير منظورة تنهضها بالرغم عنها . فجلست طوعاً لها ولكنها مدت بصرها الى جهات الغرفة وهي مذعورة من هذا التاثير الغريب فرات من خلال الدموع التي في عينيها منظراً جرى له الدم بارداً في عروقها . رات جسماً بشرياً آخذاً بالدخول من النافذة التي فرَّ منها ابنها . ولكنها ما وقع بصرها على هذا الجسم حتى جفت الدموع في ماقيها واستنارت عيناها فابصرت رجلاً واقفاً امامها . فاشتد خوفها . فارادت الصراخ فلم تقدر عليه . ارادت مد يدها الى سلك الجرس تنبيهاً للبواب فلم تقدر ايضاً . ومما زاد ذعرها وخوفها انها عرفت أن الرجل الذي كان واقفاً امامها هو الدكتور جيلبار ابو سيباستيين

ولكن كيف وصل الدكتور جيلبار الى منزل اندري . هذا امر نذكره في الفصل التالي

الفصل الحادي عشر

طريق مالوفة

لما خرج الدكتور جيلبار من بين يدي الملك صادف اتفاقاً في دهليز هناك المسيو ايزيدر دي شارني الذي اردف سيباستيين على جواده وجاء به الى باريز فابلغه ايزيدور ان ابنه قد قدم من فيلله كوتريه وانه ينتظره في القاعة الخضراء فطار صواب الدكتور لهذا القدوم الفجائي فاسرع الى القاعة الخضراء ليلقى ولده ولكنه لم يلق فيها احداً

فزاد قلقه وسأل احد حراس المكان عن ولد كان هناك فابلغه احدهم ان هذا الولد رأى امرأة خارجة من غرفة هناك فركض وراءها الى اسفل السلم

فامتقع وجه الدكتور واضطرب مع انه اعتاد خوض المنايا . ثم طلب من الحارس ان يذكر له صفة المراة فوصفها الحارس له . فعلم الدكتور انها الكونتس دي شارني . فعض شفتيه حينئذ من الغيظ وقال في نفسه متاملاً : اتراه عرفها ؟

ثم نزل من القاعة الخضراء وسأل البوابة التي كانت واقفة بازاء السلم امام الباب عن ولد وامرأة فقالت البوابة انها ابصرت الولد يركض الى المراة وهي تهرب منه ولكنه لما بلغ الى مركبتها ادخلته معها اليها وسارت بهما المركبة تنهب الارض نهباً

فسأل الدكتور وهل لم تسمعي اسم المكان الذي سارت المركبة اليه . فقالت البوابة .

نعم سمعت المرأة تقول للسائق — الى منزلي في شارع كوك هيرون نمرو ٩

فارتعدت فرائص جيلبار لهذا العنوان لانه عنوان المنزل الذي سرق ولده منه منذ ١٥ سنة فقال — يا له من اتفاق مشوم

ولم يقل " يالعناية الالهية " التي ردت المسروق الى المكان الذي سُرق منه لانه كان من غلاة الفلسفة

فلما عرف الدكتور جيلبار المكان الذي اخذ ولده اليه ترك كل شيء وسار يطلب ولده . وقد عزم على الدخول الى ذلك المنزل من غير الباب لانه كان يريد مقابلة اندري على انفراد

وبينما هو سائر الى المنزل ابصر في طريقه بركة ماء فثارت في نفسه تذكارات قديمة . فانه منذ ١٦ سنة كان ياتي هذه البركة ليبلّ بها الخبز الذي كان يتفضل به عليه جان جاك روسو وخليلته تريزه ليسد به رمقه . فتنهد جيلبار لهذه الذكرى واغرق في التامل والتفكير

فقال في نفسه . لقد مات روسو . وماتت تريزه خليلته . ولكنني انا لا ازال حياً . وقد صرت رجلاً مشهورًا بعد ان كنت خاملاً فقيرًا . ولكن هل انا اليوم اكثر راحة مني بالامس . وهل انا اكثر ثقة بمستقبلي مني بالامس ثم استانف السير وهو يتامل في ماضيه

وكان الدكتور جيلبار يعرف طريقاً للدخول الى منزل اندري من غير الباب وهي الطريق التي دخل منها يوم سرقته الولد في الليلة التي ولدته اندري . ومما ساعده انه لما صار تجت بيت اندري ابصر النافذة التي هي الطريق المشار اليها مفتوحة . وكان الوقت ظلاماً فصعد الجدار على سلم استحضرها لهذا الغرض من مكان قريب كان يعرفه ثم اطل من تلك النافذة

فراى اندري المسكينة مستلقاة على سريرها تبكي بكاء مرًا . فعرفها ولكنه عجب من بكائها . ثم انه صعد الى النافذة ودخل منها كما تقدم في الفصل السابق . فاصبح هذان العدوان وجهاً لوجه مرة ثانية

الفصل الثاني عشر

ماذا حدث لسيباستين

ولما وقعت عين اندري على الدكتور جيلبار قام في نفسها امران الاول خوف شديد منه والثاني بغض شديد له . اما الدكتور جيلبار فقد قام في نفسه امر واحد وهو رغبته في تخفيف مصائب هذه المراة التي كان سبباً في شقائها . وكان يود ان يخدمها خدمة او ينفعها بامر ولو اقتضى ذلك المخاطرة بحياته تكفيراً عن الشر الذي صنعه بها . ولذلك لم يباغتها اول دخوله بالقوة المغنطيسية مباغتة بل ارسل اليها قليلاً منها في بدء الامر ولما صار قريباً منها صرفها عنها فاستراحت اندري حينئذ وصارت قادرة على الكلام فصاحت بالدكتور . ماذا تريد مني ؟ ومن اين اتيت ؟ ولماذا اتيت ؟ فانحنى الدكتور جيلبار واجاب بهدوء اتيت ياسيدتي من طريق لا يعرفها احد سواي فلا تخشي ان يكون قد رآني احد في دخولي . اما سبب مجيئي فهو طلب ولدي الذي جئت به في مركبتك الى هنا اين سيباستيين

فصاحت اندري بغضب ويأس . لا اعلم لا اعلم . فقد فرَّ مني لانك ما فتئت تعلمه بغض امه

فقال الدكتور أانت متحققة ياسيدتي انك امه

فبلغ الغضب من اندري مبلغه فصاحت : يرى حزني ويأسي . ويسمع بكائي . ثم يسالني اذا كنت امه

فقال جيلبار فاين هو . قالت اندري لا اعلم لا اعلم . فانني ادخلته الى هذه الغرفة وبعد مدة طلبته منها فلم اجده ولكن وجدت النافذة مفتوحة

فهال جيلبار هذا الكلام فقال باضطراب . اين ذهب فان الوقت ليل وهو لا يعرف طرق باريز . فاشتد خوف اندري نخطت خطوة نحو جيلبار وقالت متالمة هل تظن انه يصاب بشر

فاجاب جيلبار ستقولين ذلك من فمك ايتها السيدة . ثم مدَّ يده اليها لينومها تنويماً مغنطيسياً

فتراجعت اندري الى الوراء وهي تصيح لا لا بعيشك دعني منه . فقال جيلبار لاتخشي شرًّا ياسيدتي فان شخصك مقدس لديَّ وانما اريد ان اسألك في نومك عن ولدك

فتنهدت اندري والقت بنفسها على كرسي هناك وهي تردد اسم سيباستيين بين شفتيها فدنا منها جيلبار ومدّ يده فوق راسها ثم قال . نامي ايتها السيدة وانظري بقلبك وانت نائمة . فاجابت اندري وهي تضطرب نمت نمت فقال جيلبار هل استعمل كل قوتي لتجيبي على اسئلتي ام اخففها فتجيبين من تلقاء نفسك . فقالت وهي نائمة اجاوبك ولكن هل تعدني بان تقول لولدي بعد الآن انني امه . قال سارى في ذلك . ولكن هل تحبينه . فقالت (وهي نائمة) آه يسألني اذا كنت احب ولدي . نعم احبه احبه بكل قوتي . فاجاب جيلبار متنهدًا فانت اذن امه ايتها السيدة كما انني ابوه لانك تحبينه كما احبه فتنفست اندري الصعداء كأن نفسها ارتاحت لهذا القول

فقال جيلبار فجاوبي اذًا طوعًا واختيارًا من غير اكراه . فقالت اندري نعم اجاوب طوعًا واختيارًا ولكن هل تعدني بان اراه بعد الآن . فقال جيلبار اما قلت لك انك امه والام يجب ان ترى ولدها . فقالت اندري بفرح عظيم شكرًا لك سلني الآن فاني مستعدة للمجاوبة . . ولكن . فقال جيلبار لكن ماذا . قالت يجب ان اتبعه من اول مجيئه من القصر لاكون على ثقة من ان لا يفوتني اثره . فقال جيلبار لا باس بذلك فاستعدي للجواب . ثم اخذ جيلبار يسالها وهي نائمة عما حدث لسيباستيين وهي تجيبه كانها حاضرة معه . فسالها اولاً . اين نظرته لاول مرة قالت في القاعة الخضراء قال الى اين لحق بك قالت الى المركبة قال الى ايّ مكان اخذته في المركبة قالت الى هذا المنزل قال ولماذا ادخلته الى هذه الغرفة قالت لانني سمعت صوت مركبة وقفت امام الباب قال فمن كان في هذه المركبة قالت الكونت دي شارني قال وماذا قال لك الولد حين دخوله الى هذه الغرفة قال لي انني لست بامه . فسالها جيلبار في الحال ولماذا قال لك ذلك فسكتت اندري ولم تجاوب فقال جيلبار سالتك فاجيبي ايتها السيدة هكذا اريد فتململت اندري واضطربت لان جيلبار قوّى المجرى المغنطيسي عند لفظه هذه الكلمة « هكذا اريد » واجابت . قال لي ذلك لانني قلت له . ثم سكتت . فقال جيلبار ماذا قلت له تكلمي . فاستجمعت اندري قواها وصاحت لانني قلت له انك شقي لئيم

فقال جيلبار انظري الآن ايتها السيدة الى اعماق نفس ابنك لتعلمي مبلغ العذاب الذي عاناه حين قولك هذا القول عن ابيه . فبهتت اندري هنيهة كانها تنظر في نفس ابنها ثم صاحت بغتة ويلاه كم تعذب الولد لكلامي عفوًا يا بني وصفحًا

فسالها جيلبار هل علم الكونت دي شارني بوجود الولد هنا قالت كلا قال فلماذا لم

يبت هنا هذه الليلة قالت لان المسيو دي شارني لا يبيت عندي قال فلماذا جاء اذًا فسكتت اندري هنيهة كانها تنظر عن بعد في ضمير المسيو دي شارني لتعلم السبب الذي جاء به اليها في هذه الليلة ثم صاحت بغتة ويلاه ما اشد تعاستي فقال جيلبار ماذا . قالت كان الكونت دي شارني قادمًا اليّ . . كان يطلب الاقامة عندي فلم افهم ذلك . بل تركته يذهب ساخطًا . هو يحبني هو يحبني

فابتدأ جيلبار يقف منذ الآن على غوامض مسالة لم يكن احد قد وقف على شيءٍ منها قبله . فسالها وانت هل تحبينه . فسكتت اندري فاعاد جيلبار سؤاله قولي هل تحبينه فسالته اندري لماذا تسالني هذا السؤال . قال انظري في ضميري لتعلمي سبب ذلك فبهتت اندري كانها تقرأ في ضميره ثم قالت علمت علمت . ان قصدك حسن . فانك تود خدمتي وصنع الخير معي تكفيرًا عن الشر الذي صنعته ولكنني انا ارفض كل خير وسعادة تاتيني على يدك لاني اكرهك واود البقاء على كراهتك

فقال جيلبار حينئذٍ في نفسه : مسكينة انت ايتها الانسانية . هل لديك كثير من طرق الراحة والسعادة حتى يجوز لك ان تختاري ما تريدينه منها . ثم سالها . اذًا انت تحبينه قالت نعم احبه . قال متى ابتدأ حبك له قالت منذ رايته للمرة الاولى . منذ سار من باريز الى فرساليا في مركبة الملكة . فقال جيلبار متنهدًا . اذًا عرفت الحب يا اندري قالت نعم عرفت الحب وهو لم يعطَ للانسان لكي يتمتع به ويسر ولكن ليعلم من مقداره مقدار ما يقابله من الحزن والالم في هذه الحياة . فاحتدم عند ذلك جيلبار وقال لقد عرفتِ الحب يا ذات القلب الصخري عرفت عذابه وشقاءه فانا مسرور بذلك . فلنعد الآن الى الولد فقالت نعم لنعد الى الولد ولكن لا تذكر لي المسيو دي شارني ولا تدعني اذكره فان ذلك يقلقني وربما تركت حينئذ ولدي واقتفيت اثار الكونت . فقال جيلبار اذكرى ولدك ايتها الام ولا تذكرى زوجك . فانبسطت حينئذٍ اسرة اندرى وتلاشت لوائح العناء التي كانت على وجهها من ذكر حب الكونت زوجها . فسالها جيلبار اين كان الولد حين محادثتك مع الكونت فاجابت اندري كان هنا . هنا على الباب ينصت الى كلامنا قال ماذا سمع منه قالت قد سمع كل القسم الاول قال فمتى عزم على الفرار من الغرفة . قالت عزم على ذلك حينما . . . وسكتت

فسالها الدكتور بشدة ومن غير شفقة حينما ماذا . فاجابت حينما اخذ المسيو دي شارني يدي وقبلها فصحت صيحة خفيفة فقال جيلبار وماذا حدث لسيباستيين عند ذلك قالت هو ذا

اراه مقطب الحاجبين مشمر الشفتين غضباً وحنقاً واحدى قبضتيه مطبقة بتشنج على صدره كأنه يتهدد بها

فقال جيلبار اتبعيه الآن واجعلي كل همك مقصوراً على اقتفاء اثره واياك ان تتركيه. هل ترينه قالت اراه اراه. قال ماذا صنع بعد ما ذكرتِ قالت اخذ يفتش عن باب مشرف على الحديقة للخروج منه ولما لم يجد باباً ذهب الى النافذة بنزق ففتحها ثم نظر النظرة الاخيرة الى القاعة حيث كنت مقيمة وخرج من النافذة. فقال جيلبار اتبعيه في الظلام فقالت لا اقدر فدنا منها جيلبار وامرَّ يده على عينيها وقال انظري حتى في الظلام ايتها السيدة. فتنفست اندري الصعداء، وقالت هوذا قد وجدته.. لقد سار نحو شارع بلاتر بير.. ها هوذا يخاطب امراة

فقال جيلبار اصغي جيداً ماذا قال لها قالت لقد سالها عن شارع سان اونوره. فتنهد جيلبار وقال هناك منزلي فلابدَّ ان يكون قد وصل اليه لينتظرني فيه. فسكتت اندري هنيهة ثم قالت بهيئة تدل على القلق. لا لم يصل اليه.. كلا هو لا ينتظر الآن فسالها فاين هو اذاً قالت دعني اقتفي آثاره والا تهت عنه

وقد قالت اندري هذا القول بلهجة الخوف كمن يتوقع حدوث مصاب. فخاف جيلبار لخوفها وقال اتبعيه اتبعيه واياك ان تضلي عنه. فتنهدت اندري وقالت آه. هاءنذا اراه فقال جيلبار ماذا يعمل قالت انه سائر في طريقه. لقد وصل الى شارع باله رويال.. هوذا يسال ثانية عن شارع سان اونوره.. لقد اسرع في طريقه.. وصل الى شارع ريشليه.. الى شارع فروندور.. الى شارع نوفسان روش. آه قف ايها الولد التعيس قف واجتنب هذه الحادثة.. اما ترى المركبة القادمة من طريق سوردبير.. انا اراها واخشى عليك منها. آه. آه

ثم صرخت اندري صراخاً هائلاً. صراخ ام ترى ولدها يتمزق تحت عجلات المركبة فتحلب الدمع من عينيها من شدة الخوف وتحلب العرق من جبينها من شدة المغنطيسية فامتزج ماؤهما

فجزع جيلبار وخاف اشد خوف ثم قال لها بغضب — اذكري ايتها السيدة ان الولد اذا اصابه شر فالشر يقع على رأسك لانك كنت السبب

اما اندري فانها عادت وتنفست الصعداء بانبساط وارتياح دون ان تسمع ما قاله جيلبار ثم قالت مبارك اسم الله. قد نجا. قد نجا. فان صدر الجواد صدمه وازاحه قبل

ان يسقط من طريق المركبة · ولكنه سقط على الارض مغمى عليه · · آه بدون حراك ولكنه غير ميت · نادوا من يغيثه · المعونة المعونة · اغيثوا ولدي اغيثوا ولدي

ثم صاحت اندري صيحة هائلة وسقطت مغمى عليها

فخاف جيلبار ان ينقطع شريان في دماغ المراة او في قلبها من شدة ضغط المغنطيسية عليها ولذلك لم ينبهها بالرغم عنها · ولكنها لم تلبث ان انتبهت من تلقاء نفسها تطلب ولدها فسالها جيلبار انظري ماذا جرى له · فقالت اصبر عليَّ قليلاً فانني اكاد اهلك من التعب والجزع · هاءنذا ارى ازدحاماً شديدًا حوله · ابعدوا ابعدوا · افسحوا لي طريقاً ياناس · انا امه · انا ام سيباستيين المطروح على الطريق · قولوا لي اليس فيكم رجل جراح

فما سمع الدكتور جيلبار هذا الكلام حتى صاح بها هاءنذا ذاهب اليه · فقالت اندري وقد امسكت به من ذراعه لا لاتذهب · بل اسمع الآن · هوذا الجمع قد تفرق عنه · فلا بد ان يكون قد حضر رجل استدعوه لمعالجته · تعالَ تعالَ ايها الرجل · هو لم يمت ولكن قل لي ايمكن انقاذه

ثم صاحت صيحة عظيمة واخرجت تنهدًا هائلاً من اعماق صدرها

فاجفل الدكتور جيلبار واضطرب ثم سالها ماذا حدث فصاحت اندري بغضب · حدث انني لا اريد ان يمدّ هذا الرجل يده الى ولدي · لا اريد ان يعالجه · قزم شنيع كالافعى بالله كم امقته

فقال لها جيلبار دعيه ايتها السيدة ولا تتركي سيباستيين بعيشك · فقالت اندري لا تخف لا تخف وكيف اترك ولدي · فقال جيلبار ماذا صنع به هذا الرجل قالت لقد حمله بين ذراعيه ثم سار في شارع سوردبير · دخل الى اليسار في طريق سان ياسنت ودنا من باب واطئ كان مفتوحاً قليلاً · دفع الباب · انحنى · نزل في السلم · وضع الولد فوق مائدة عليها اقلام واوراق بعضها خطية وبعضها مطبوعة · لقد اخذ يجرد ذراع سيباستيين · شدّها بلفائف جاءته بها امراة قذرة شنيعة مثله · لقد فتح علبة اخذ منها آلة جراحية آه · لقد عزم على فصد الولد · آه انني لا اطيق رؤية دماء ولدي

فقال لها جيلبار اخرجي الآن من ذلك المكان وعدي درج السلم التي نزلها الرجل فسكتت اندري هنيهة كانها صنعت ما قاله لها الدكتور ثم قالت عددتها فاذا هي ١١ درجة فقال صفي لي الآن خارج المكان لاعرفه قالت ان الباب يؤدي الى قبو تحت الارض وفوق الباب نافذة صغيرة فيها قطعتان من الحديد بشكل صليب قال جيلبار مستعدًا

للسير كفى فانني صرت قادراً على معرفة المكان فاستعدي لانبهك ولكن قولي لي اولاً هل تريدين ان تنتبهي غداً صباحاً دون ان تذكري شيئاً مما جرى ام تريدين الانتباه الآن مع ذكر كل شيء. قالت بل افضل الانتباه الآن وذكر كل شيء

فدنا منها جيلبار حينئذ واخذ ابهاميه فامرّهما على حاجبي اندري بحسب تقوسها ثم نفخ في جبهتها ولفظ هذه الكلمات فقط

— انتبهي ايتها السيدة

فدبّت الحياة حينئذ في عيني اندري وعاد لهما نظرهما الاعتيادي فنظرت الى جيلبار من غير خوف ثم ذكرت ولدها وما اصابه فصاحت بالدكتور قائلة : اسرع اسرع اليه وانقذه من يدي ذلك الرجل الذي يخيفني

فخرج جيلبار مسرعاً يطلب ولده من المكان الذي دلته عليه اندري في نومها المغنطيسي

الفصل الثالث عشر

﴿ الرجل القذر الشنيع ﴾

وفي خروج جيلبار من منزل اندري اخذ يعيد في فكره الشوارع التي ذكرتها اندري في نومها فذكرها كلها وسار في وجهتها

وما زال سائراً مسرعاً حتى وصل الى الشارع الذي ذكرت ان فيه قبو الرجل القذر الشنيع فنظر جيلبار الى الغرف السفلية التي هناك فابصر باب غرفة على الشارع وفوقها العلامة التي ذكرتها اندري فلم يبقَ عنده ريب في ان هذا المنزل هو المنزل الذي يقصده فدنا منه وقرع الباب فلم يجاوبه احد فقرعه مرة ثانية فسمع حينئذ صوت اقدام تُختلس في المكان فقرع مرة ثالثة فسمع امراة تقول من الداخل من يقرع الباب فقال جيلبار انا لا تخافي وافتحي لي فانني ابو الولد الذي عندكم

فقال حينئذ رجل من الداخل افتحي افتحي يا البرتين فهذا الدكتور جيلبار. فنادى حينئذ صوت ثالث بقوله يا ابي يا ابي. وكان هذا الصوت صوت سيباستيين

فتنفس جيلبار الصعداء حينما سمع صوت ابنه

وحينئذ انفتح الباب فاسرع الدكتور في نزول السلم فوجد في فناء المكان مائدة عليها ولده وهو يمد ذراعيه اليه فبادر اليه جيلبار وقبله ولاطفه

فقال الرجل الذي كان في المكان الى المراة اشكري يا البرتين الصدفة التي جعلتني

انفع احد «اخوتي»

وقد عنى بقوله اخوتي اعضاء الجمعيات الماسونية التي كان لها في فرنسا في ذلك الزمان شأن عظيم حتى ان كثيرين يعزون اليها اقامة الجمهورية كما سيرد ذلك مع تفصيل حفلاتها وعاداتها وذكر خطبها

ولما قال الرجل هذا القول التفت جيلبار ليرى الرجل الذي انقذ ابنه . فوقع نظره على رجل قزم ذي وجه اصفر اللون اخضره بعينين رماديتين كانهما تخرجان من راسه كما يقول العامة . وقد كان كريه المنظر شنيع الصورة كانه انسان اخذت الطبيعة تمسخه قرداً فلا هو انسان تام ولا قرد تام

فاقشعر جلد جيلبار لهذا المنظر بالرغم عنه لا سيما وانه ذكر انه يعرف هذا الرجل لانه نظره في يوم دموي من ايام الفتنة ولكنه لم يذكر ذلك اليوم

غير انه بالرغم عن كراهته لمنظر ذلك الرجل قهر نفسه ودنا منه ليقوم بواجب شكره على انقاذه ابنه . ولما صار قريباً منه قال له اشكرك ياسيدي على انقاذك ولدي وهذا الشكر يقدمه لك اب من اعماق قلبه

فاجاب الرجل انني لم اصنع سوى ما يجب عليَّ ياسيدي فانني انسان والانسان كما قال ترانس يجب عليه ان يساعد الانسان في كل شؤونه وفضلاً عن ذلك فانني رقيق القلب لا استطيع رؤية حشرة تتالم فكيف الانسان . فقال جيلبار هل تتفضل عليَّ ياسيدي بمعرفة اسمك فقال الرجل ضاحكاً ضحكاً مخيفاً كيف لا تعرفني ايها الرصيف فانني انا اعرفك . انت الدكتور جيلبار صديق واشنطون ولافاييت ولما ذكر الرجل اسم لافاييت شدّ عليه قصداً ثم قال نعم انت صديق لافاييت رجل فرنسا واميركا صاحب الاحلام والاوهام انت الذي كتبت للملك تقريراً عن الحالة السياسية في فرنسا فجزاك الملك بسجنك في الباستيل مكافأة على جميلك

ثم ضحك الرجل ضحكاً شنيعاً ترتعد له الفرائص اما جيلبار فقال اذا كنت تعرفني ياسيدي فقد زدتني رغبة في معرفة اسمك

فقال الرجل عرفتني وعرفتك منذ زمن بعيد ياسيدي فانك جئتني منذ عشرين سنة في ليلة هائلة هي ليلة ٣٠ مايو من سنة ١٧٧٠ جريحاً كما جاءني ابنك وكنتَ يومئذ بعمر مساوٍ لعمره اما الذي جاء بك الي فهو معلمي ومعلمك جان جاك روسو فقصدتك على مائدة محاطة بجثث الموتى والاعضاء المبتورة وقد عالجت كثيرين غيرك في تلك الليلة

فقال جيلبار حينئذ ٠ اذن عرفتك فانت جان بول مارات (١)

قال جيلبار ذلك ثم رجع الى الوراء مجفلاً

اما الرجل الذي سماه جيلبار مارات وقد تقدم ذكره في نهضة الاسد الجزء الاول

فقد اخذ يضحك ضحكاً شنيعاً ثم قال للمراة ٠ ارأيت يا البرتين كيف يؤثر اسمي في نفوس الناس ثم ازداد ضحكاً فقال له جيلبار كنت اعهدك طبيباً للكونت دارتوى فقال مارات بيطرياً لخيله لا طبيباً وقد هجر الامير فرنسا في جملة الذين هجروها فتركت خدمته ٠ وهبه موجوداً فانني لا اخدمه لانني اكره الظالمين

ولما قال مارات هذا القول انتصبت قامته القصيرة بعظمة وكبرياء اظهاراً لانفته

فقال له جيلبار ولماذا تقيم في هذا القبو فاجاب مارات تسالني لماذا اقيم في هذا القبو ايها الفيلسوف ذلك لانني رجل محب لوطنه لانني اكشف الغطاء عن طمع الطامعين لان بالبي يخافني وناكار يغيظني ولافاييت يقتفي اثري آه من لافاييت الطامع المستبد الراغب في اغتصاب السلطة لقد خصص جائزة بمن ياتيه براسي ولكنني لا اخشاه بل اشكوه اشكوه في كل يوم من اعماق هذا القبو٠ قال وكيف تشكوه قال اشكوه في جريدتي في الجريدة التي انشأتها وسميتها « صديق الشعب » وقد اصدرت منها الى الآن ٢٠ عدداً وقد بعت كل اثاث منزلي للقيام بنفقات الاعداد الاولى منها انظر الفراش التي حولك

فنظر جيلبار فوجد ان الفراش بلا اغطية لان مارات باعها وكان سيباستيين ينام على فرشة بلا غطاء ايضاً

فالتفت جيلبار الى مارات وساله واين مساعدوك في جريدتك

فضحك مارات واجابه تسالني عن مساعدي في عملي ولكن اتجهل ان الزرازير هي التي تطلب الاجتماع والرفقة وانه لا يطير وحده غير النسر٠ تسالني عن مساعدي فاليك مساعدي

قال ذلك ثم اشار الى راسه ويديه

وبعد هنيهة قال

هذه المائدة التي تراها امامك هي معمل الاله فولكان المعمل الذي تصنع فيه الصواعق



(١) جان بول مارات — اشد رجال الثورة تاثيراً على العامة وقد ورد ذكره في نهضة الاسد الجزء الاول الصفحة وفي هذا الفصل احسن وصف لاخلاقه

فانني في كل ليلة اكتب عليها ثماني صفحات كبرى لتباع في الصباح · وقد تكون الثماني الصفحات غير كافية فاضيف اليها ثماني اخرى وكثيرًا ما اتم باحرف صغيرة المقالات التي ابدأها باحرف كبيرة· كل الصحافيين يساعدون بعضهم بعضًا ويشتركون بعضهم مع بعض اما انا فلا اريد ان يساعدني احد ولذلك اعتبر ان جريدتي ليست بجريدة ولكنها انسان· هي انا لانها ثمرتي وحدي

فساله جيلبار مدهوشًا وكيف تستطيع ان تقوم وحدك بكل هذا العمل

فاجاب مارات هذا سرٌّ من اسراري هذا اتفاق معقود بيني وبين الموت فاننا تعاهدنا على ان اعطيه عشر سنوات من عمري ليجعلني قادرًا على القيام بالعمل الذي اعمله الآن ولذلك اعطاني نهارًا لا استريح فيه وليالي لا انام فيها فاصبحت معيشتي محصورة في هذه الكلمة : الكتابة الكتابة الكتابة ليلاً ونهارًا ومما ساعدني على ذلك ان بوليس لافاييت يفتش عني فصرت مضطرًا الى الاختباء منه وعدم الخروج من مخباءي وقد وجدت هذه المعيشة في بدء الامر ثقيلة ولكنني ما لبثت ان تعودتها فانه صار يلذ لي ان المح من ثقب الباب في ظلمات هذا القبو الهيئة الاجتماعية التعيسة الشقية التي هي في الخارج ومن اعماق هذه الظلمات التي انا اعيش فيها احكم على عالم الاحياء في تلك الهيئة· وحكمي يشمل عالمين عالم العلم وعالم السياسة ومتى حكمت كان لا مرد لحكمي اي لا استئناف ولا نقض او ابرام· بيدٍ اهدم اعمال نيوتن وفرنكلين ولبلاس ومونج ولفوازيه وبالاخرى ازعزع بالبي وناكار ولافاييت وساهدم هذا كله ساهدمه كما هدم شمشون الجبار الهيكل واذا دُفنت تحت جدرانه الساقطة دفنت الملكية معي

فارتعدت فرائص جيلبار بالرغم عنه لان هذا الرجل كان يكلمه في قبوه الحقير كما كلمه كاليوسترو في قصره الكبير· فراعه ان تكون هذه الافكار مشتركة بين الكبار والصغار وساله لماذا لا تدخل المجمع الوطني لتقول فيه ما تريد ان تقوله فقال مارات لانه لا يوجد لدي بضعة الوف من الرجال يشدون ازري وينتخبونني للدخول اليه· هذا مع كل شهرتي وحب الشعب لي· ولكنني غير عابئ بالمجمع بل انني اشتغل كما ذكرت لك كالنسر وحدي واكون في هذه الحالة اشد تاثيرًا على الشعب الذي يتبعني وانا الآن ذو تاثير عظيم عليه وقد قلت في العدد الاول من جريدتي « صديق الشعب » انه يوجد في فرنسا ٦٠٠ رجل يجب شنقهم لنخلص من جرائمهم وخياناتهم فتتحسن الحال ويزول كل خلل ولكنني ما لبثت ان عرفت خطاءي بعد ليلتي ٥ و٦ اكتوبر فانه يجب شنق عشرة الاف رجل من

الاشراف بل عشرين الف رجل لا ستمائة رجل ليعم السكون و يعود النظام

فاجاب جيلبار ضاحكاً ولكن احذر يامارات فانك اذا اردت شنق كل هؤلاء الناس لم تجد في فرنسا حبالاً كافية لذلك

فضحك مارات ضحكاً هائلاً وقال ما احسن هذه الكلمة التي قلتها فانها تنقلنا من حديث الى حديث كنت على عزم الانتقال اليه . اعلمت ايها الدكتور ماذا نصنع الآن لنقدر على اعدام المجرمين مهما كثر عددهم بسهولة وفي وقت قصير فاجاب الدكتور كلا قال ان صديقي الدكتور كليوتين يصنع آلة ما اسهل الموت فيها وقد جئت في حينك فانه لا يلبث ان يحضر الى ههنا لتجربة هذه الآلة وقد وصفها لي الدكتور كليوتين فقال ان الانسان يموت بها بكل راحة وسهولة فان سكينها تقطع العنق كلمح البصر فلا يشعر الانسان الا بقليل من البرودة في عنقه الا تريد مشاهدة هذه الآلة معي

فاقشعر جلد جيلبار هنا ايضاً لانه ذكر ما قاله له كاليوسترو عن آلة الدكتور كليوتين (التي هي الكليوتين آلة الاعدام في الثورة) ولكن لم يذهب اضطراب جيلبار حتى قرع باب القبو فقال مارات ضاحكاً ها قد جاء صديقي الدكتور كليوتين صاحب الاختراع العظيم افتحي له يا البرتين

فذهبت المراة وفتحت له فدخل كليوتين فاذا هو رجل في الخامسة والار بعين من العمر هادىء الهيئة لطيف المنظر خلافاً لمارات وكان يحمل في يده علبة كالعلب التي تتضمن لعب الاولاد

فسلم الدكتور على مارات وعلى جيلبار الذي كان متشاغلاً بابنه فساله مارات ما بيدك يادكتور فقال كليوتين هذا مثال الآلة جئت لاريك اياه

وكان يُسمع من داخل العلبة حركة فساله مارات ما هذه الحركة التي تُسمع من داخل العلبة فضحك كليوتين وقال هؤلاء هم المجرمون الذين سنعدمهم امامك فان الآلة الكبيرة تعدم البشر والآلة الصغيرة تعدم الفئران

فاشار جيلبار حينئذٍ الى ابنه بالنهوض ليحمله و يذهب به فساله مارات مالك يادكتور الا تحضر التجربة فقال جيلبار لا اقدر ياسيدي بل يجب ان اذهب لاعتني بولدي فقال مارات ولكن هل تعدنا بانك تحضر تجربتها الكبرى حين الاحتفال بها فقال جيلبار اعدك بذلك فقال مارات ولي اليك وصية اخرى قال ماذا قال ان تكتم اسم منزلي فانك تعلم ان بوليس لافاييت يقتفي اثري فقال جيلبار كن مستريح البال من هذا الوجه

ثم حمل جيلبار ابنه وخرج من منزل مارات بعد ان ودعه وودع الدكتور كليوتين زائره

ولما خرج جيلبار الى الشارع اخذ يتامل ويقول في نفسه «ما ادراني انه لا يوجد الآن في باريز خمسمائة قبو كهذا القبو يشتغل فيها اصحابها بمثل ما يشتغل به هذا الرجل؟ وماذا يحدث في المدينة يوم تبرز اعمال هولاء الناس المستترين الى حيز الوجود»

الفصل الرابع عشر

عود الى بيتو وكاترين

ولما وصل جيلبار الى منزله وهو يحمل ابنه بين ذراعيه طرق الباب فنادى صوت من الداخل من الطارق فدهش جيلبار لهذا الصوت لانه علم انه صوت صاحبنا انج بيتو فاجابه الدكتور انا افتح ففتح بيتو الباب ولما ابصر سيباستيين بين ذراعي ابيه تنفس بيتو الصعداء وقال وجده والحمد لله

اما السبب في عودة بيتو الى باريز فاليك بيانه

تركنا بيتو في ختام الجزء الثاني من نهضة الاسد واقفاً بازاء جثة كاترين التي وجدها بلا حراك في قارعة الطريق وفي اليوم التالي لهذه الحادثة رأى بيتو ان آماله ذاهبة ضياعاً فازداد حزناً ولكنه عزم على اطلاع بيلو والد كاترين على هذا الامر وقد ساعده على ذلك اختفاء سيباستيين

فان بيتو حضر في ذات ليلة الى غرفته وبعد ان اوقد شمعة راى على نورها الضعيف كتاباً موضوعاً على المائدة وعنوانه باسمه ففتحه فراى انه هو الكتاب الذي كتبه اليه سيباستيين يطلعه فيه على امر سفره الى باريز للسؤال عن ابيه

فقال بيتو هذا الامر لانه خاف من ان يضل الولد السبيل وعجب من اقدام هذا الولد على السير في الليل ولكنه لم يتردد دقيقة واحدة في العزم الذي عزم عليه بعد مطالعة هذا الكتاب فانه نهض في الحال واقفل باب الغرفة ثم اطلق ساقيه للريح على طريق باريز لعله يلتقي بسيباستيين

وكان يسير وهو يفتش عنه في نظره في كل جانب ولكن سيباستيين كان قد ركب على جواد المسيو ايزيدور دي شارني كما تقدم ولذلك لم يستطع بيتو ان يلحق به

وما زال بيتو سائراً حتى وصل الى باريز فقصد منزل الدكتور جيلبار على عجل وسال عن سيباستيين فقيل له انه لم يات اليه فاشتد خوف بيتو على اخيه في الرضاع ولبث يتقلب في البيت على مثل الجمر وهو ينتظر عودة الدكتور جيلبار

ومن حسن الحظ ان الدكتور عاد و بين يديه سيباستيين فتنفس بيتو الصعداء حين مشاهدته واستراح باله · اما الدكتور جيلبار فلما علم بقصة بيتو تحركت له احشاؤه حنواً عليه وارتياحاً من عمله فمد يده اليه وصافحه شكراً على غيرته وامانته

ولما هدأت خواطر الجميع اشار جيلبار لبيتو ان يذهب و يستريح في فراشه فان الركض كان قد اتعبه فقام بيتو شاكراً ولكنه في قيامه طلب من بيلو ان يلحق به ليقول له كلمة في غاية الاهمية

فقام بيلو وتبع بيتو الى غرفة هناك واختليا فيها

وكان بيتو لشدة قلقه على سيباستيين قبل وجوده قد نسي امر كاترين والمزرعة فلم يقل عنهما لبيلو شيئاً ولكنه سكن خاطره بكلام مبهم ووعده بان يزيده بياناً متى هدأت الخواطر

فلما انفرد بيتو به ساله بيلو عن المزرعة والعيلة فحدثه بيتو ربع ساعة ثم افترقا

اما الدكتور جيلبار فلما استقر به المكان كتب لاندري هذه الكلمات « لقد وجدت الولد سالماً معافى » ثم بعث بها الى صندوق البريد مع خادمه لتصل اليها في الصباح

وفي اليوم التالي نهض جيلبار ليذهب الى قصر الملك اذ جاءت نوبته فوجد بيلو ينتظره ولوائح الانقباض على وجهه · فسأله الدكتور ما بك يا بيلو · فاجاب بيلو انني اقيم في باريز على حين ان الحالة سيئة جداً في مزرعتي

ولا يحسبنَّ القارىء ان بيتو اطلع بيلو على كل ما يعلمه عن كاترين لانه لو فعل ذلك لاضاع صواب ذلك الزارع الشريف الاخلاق · ولكنه اكتفى بان يقول له ان المواشي مهملة والحقول خربة والحاصلات تناقصت وانه وجد في مساء يوم كاترين مغمى عليها في قارعة الطريق

وكان بيلو نبيهاً فعلم ان ابنة قوية رابطة الجأش مثل كاترين لا يغمى عليها في قارعة الطريق الا لاسباب خصوصية

وحينئذٍ عزم على السفر في الحال الى مزرعته ليصلح الخلل الذي حدث فيها مدة غيابه

وكان جيلبار قد ذاق في ليل امس طعم العذاب الذي يعانيه الآباء بشان اولادهم فاصبح اكثر رأفة بقلب بيلو ولذلك اذن له بالسفر على شرط ان يحضر اليه اول ما يدعوه اذا اضطر الى استدعائه · فاجاب بيلو متى اردتني فقل كلمة واحدة اكن عندك في يوم واحد

ثم ان بيلو قبل سيباستيين وودع الدكتور فودعه الدكتور وشكره على اخلاصه ووداده ثم ودع جيلبار بيتو ووضع في يده ٢٥ ذهباً هدية له لينفقها في شراء ملابس واسلحة لحرس هرامونت الذي كان هو قائده · ثم سار بيلو وبيتو عائدين الى المزرعة اما سيباستيين فانه بقي عند ابيه

الفصل الخامس عشر

هدنة وقتية

ولنعد الآن بالقارىء الى قصر التويلري حيث اقام الملك والملكة بعد عودتهما من فرساليا

فيا ما اشدك هولاً يا ايها التويلري · يا قصراً سكنته الملكة التي امرت بمذابح سنت برتلماي · يا قصراً يجتذب الملوك اليه ليفترسهم او لينبذهم منه نبذ النواة · فبعضهم يخرجون منه بلا رؤوس والبعض يخرجون بلا صولجان ليشردوا في بلاد الله

ياقصراً هائلاً من يجترئ ان يدخل اليك بعد ارسالك لويس السادس عشر ونابوليون وشارل العاشر ولويس فيليب بعضهم الى النفي وبعضهم الى الاعدام

كل هؤلاء قد دخلوا اليك والشعب يهتف لهم ويفرح بدخولهم · كل هولاء لما دخلوا اليك كانوا في اقصى درجات المجد والسعادة · فلماذا لم تجعلهم يحتفظون بمراكزهم · ذلك لانهم اخذوا يعملون لانفسهم لا للشعب فقام الشعب وطردهم منك كما يُطرد من مزرعة زارع ولي شانها ليصلحها فافسدها

وفي اليوم التالي لوصول الملك الى التويلري اشرقت الشمس على باريز ساطعة لامعة فتزاحم الشعب حول التويلري فرحين مسرورين بان ملكهم عاد اليهم واخذوا يرقبون الملك ويفتشون عنه فكان كلما لاح لبعضهم يشيرون اليه بالاصابع مبتهجين مسرورين ولما انتصف النهار طلب الشعب الملك فظهر له الملك من احدى شرف القصر فصفقت

له الالوف التي كانت هناك تصفيقاً عاماً بياناً لاستحسانها وسرورها
وفي المساء اضطر الى النزول للحديقة اكراماً للشعب فلم يكتف الشعب حينئذٍ بالاستحسان والهتاف بل بكى من فرحه وسروره
فقالت مدام اليزابت التي كانت بازاء الملك . يظهر لي انه ليس من الصعب الحكم على هذا الشعب اللين المراس
وهكذا ظهر لكثيرين ان النار التي كانت متقدة قد خمدت وان الثورة آخذة بالخمود وما علموا انها هدنة وقتية ليتعارف في اثنائها الحزبان ثم يعودان الى النزاع والاهوال باشد مما كان
ومع ذلك فان خواطر العقلاء واصحاب النفوس الابية كانت قد بدأت تستنكر عمل الشعب بعد هجومه على فرساليا . وقد خاف المجمع الوطني من ذلك اشد خوف لانه كان يرى ان وجوده متوقف على وجود الملك وسلطته متوقفة على سلطته فاذا سقط الملك سقط المجمع . ولذلك اراد ميرابو خطيب المجمع الاكبر وضع حد للهياج واللجاج
اما لافاييت فانه ازداد بعد الهجوم على فرساليا تمسكاً بالملك والملكية . ولكنه كان لا يثق بميرابو . فلما جاءه ميرابو يقول له « فلنتحد ولننقذ الملك » لم يفهم لافاييت هذا الكلام ولم يعبأ به . بل ذهب لساعته الى الدوق دورليان الذي كانوا يقولون انه عدو الملكة ومحرض الشعب عليها وقد قصد بزيارته هذه ان يبعده من باريز لعل ذلك يسكن الخواطر ويبطل التحريض
فقابل لافاييت الدوق وطلب اليه ان يرحل من فرنسا فاجابه لا استطيع ذلك لانني املّ الحياة خارجاً . فقال لافاييت ولكننا يامولاي محتاجون الى سفرك . فقال الدوق ولكن الى كم من الزمن . قال الى اجل غير مسمى اي الى ان استدعيك يامولاي فقال وان عدت ياجنرال دون ان تستدعيني . فاجاب لافاييت ان عدت دون ان استدعيك يامولاي فانني اسألك حينئذٍ ان تتناول سيفك وتبارزني
فسافر الدوق دورليان ولم يعد حتى استدعاه لافاييت
الا ان الملكة كانت وسط فرح الشعب وسروره ممتلئة النفس حزناً والماً . اولاً لانها فقدت حب حبيبها شارني وثانياً لانها رأت ان يد الشعب اصبحت فوق يدها . ولذلك لم تفرح لفرح الشعب ولم تقدر ان تحبه . ولو كان شارني بجانبها يعزيها ويخرج عقرب الحب التي كانت تعذبها في نفسها فربما كانت قدرت على ان تحب الشعب وتفرح لفرحه

وفي ذات يوم اجتمع فاتحو الباستيل وسألوا الملكة ان تقابلهم فرفضت ذلك · فكان لرفضها اسوأ تأثير

ثم اجتمعت كثيرات من النساء وطلبن مقابلتها فاذنت لهن بذلك ولكنها لم تقرب منهن عند المقابلة بل ابقت بينها وبينهن سلالاً كثيرة موضوعة في القاعة · فتجاوز النساء السلال وان لم يكن ذلك من حقهن واقتربن من الملكة

وكانت العادة ان تخطب واحدة من النساء فانبرت احداهن وقالت انني ارجو من جلالة الملكة ان تسمع لي نصيحة · فقالت الملكة وما هي · فقالت المرأة ان تبعد جلالتك من حولك جماعة المتزلفين الذين يكرهون الشعب اليك وان تحبي الباريزيين ياسيدتي فانهم لم يروك منذ عشرين سنة قضيتها في فرنسا سوى اربع مرات

فاجابت ماري انطوانت بهيئة خطيرة · تقولين هذا القول ايتها السيدة لانك لا تعرفين قلبي · فانا احببت الباريزيين في فرساليا كما احبهم الآن

فاجابت امرأة ثانية على الفور · هل من الحب ان تأمري الجنود بمحاصرة الباريزيين في ١٤ يوليو وباطلاق المدافع عليها · هل من الحب ان تهتمي في ٦ اكتوبر بالهرب الى الحدود بحجة انك ذاهبة الى تريانون

فقالت الملكة هل صدقتم هذه الاشاعات الكاذبة التي يذيعونها

وفي المساء جلس الملك والملكة ومدام اليزابت يتحادثان ويذكران حوادث النهار وكان ولي العهد واقفاً بازائهم فاخذت الملكة تذكر للملك كلمة قالها ولي العهد حين دخول النساء عليها · فانه قال «ما هذا يا اماه هل يحدث اليوم ما حدث امس» يعني هجوم الشعب على قصر الملك في فرساليا

فلما سمع ولي العهد انهم يتكلمون عنه صار يعجب بنفسه ككل ولدٍ يجد أن اهله او الناس يهتمون به فتقدم من الملك ابيه واخذ يتأمل في وجهه ويفتكر فقال له الملك · ما لك يالويس · فقال الولد اود يا ابتِ ان اسالك سؤالاً جدياً · فاخذ الملك الولد اليه وقال له سل ماذا تريد · فقال الولد اريد ان اعرف لماذا غضب شعبك منك مع انه يحبك وماذا عملت حتى اغضبته

فالتفتت الملكة الى الولد وقالت له بلهجة التوبيخ لويس ما هذا

فقال لها الملك دعيه فانني ساجاوبه جواباً يستطيع فهمه ثم قال للولد

« انني اردت يا بني ان انفع الشعب واجعله اكثر سعادة وهناء فاحتجت لذلك الى

المال لان مال الخزانة نفد بسبب نفقات الحروب فطلبت من شعبي ان يعطيني المال اللازم مقتديًا في ذلك باسلافي فعارض اعضاء البرلمان في ذلك وقالوا ان للشعب وحده الحق في تقرير دفع المال الذي اطلبه . فجمعت في فرساليا من كل مدينة رؤوسها في الشرف والمال والعقل . فلما اجتمعوا طلبوا مني مطاليب لا استطيع اجابتهم اليها لا من اجلي ولا من اجلك انت الذي ستكون خلفًا لي . فقام يومئذٍ اناس اشقياء اثاروا الشعب عليّ وهيجوه كما رايت في الحوادث الاخيرة ومع ذلك يابني فيجب الصفح للشعب ونسيان كل ما يعمله

وكانت الملكة هادئة ساكتة ولكنها لما سمعت الملك يوصي ابنه بالصفح عن الشعب ونسيان اعماله ثار الغضب في نفسها لانها كانت تود ان تعلمه ان لا يصفح ولا ينسى بل ان ينتقم حينما يجلس على كرسي المملكة

كأن هذه المسكينة كانت ضامنة ان ابنها سيجلس على كرسي المملكة

وفي اليوم التالي بعث المجلس البلدي والحرس الوطني يسالون الملكة والملك ان يظهروا في حفلة عمومية ليعلم الشعب انهما مسروران باقامتهما في باريز وانهما يقيمان فيها طوعًا لا كرهًا

فاجابت الملكة انها لم تنسَ بعد حوادث فرساليا وان نسيانها يقتضي وقتًا طويلاً ولذلك فانها لا تستطيع ان تجيبهم الى دعوتهم

فعجب الناس من هذا الجواب لانهم كانوا قد نسوا كل شيء واستغربوا ان تكون الملكة حاقدة عليهم ولم تنسَ نسيانهم

الفصل السادس عشر

﴿ رسم شارل الاول ﴾

ولم يستقر الملك في التويلري حتى ذكر الدكتور جيلبار وصدق خدمته فامر الحراس بادخاله عليه عند وصوله الى القصر حين تجيء نوبته

فلما جاءت نوبة الدكتور جيلبار في الاقامة في قصر الملك طبيبًا له ادخلوه الى غرفة الملك في ذات يوم فرأى جيلبار الملك يخطر في الغرفة منكرًا وهو يقف الحين بعد الحين

امام رسم كان معلقاً بالحائط . وكان الملك مشتغل الفكر بهذا الرسم الى حد انه لم يعلم بقدوم الدكتور مع دخوله الى الغرفة

ولكن جيلبار لم يلبث ان تعمد الحركة في الغرفة لينبه الملك اليه لانه لا يجوز له ان يخاطبه اولاً فالتفت الملك للحركة ولما ابصر الدكتور قال له . هذا انت ايها الدكتور تعال فقد جئت في حينك . ثم اخذه من يده واوقفه امام الرسم وسأله هل تعرف هذا الرسم يا دكتور فقال الدكتور نعم انه رسم شارل الاول ملك انكلترا الذي مات قتلاً ولكن من وضعه هنا (١)

فقال الملك هذا امر يحيرني فانني اعرف ان هذا الرسم موجود في فرساليا فمن جاء به الى هنا . لا اعلم

اما الرسم المذكور فهو نفسه الآن في متحف اللوفر في باريز وهو يمثل الملك شارل الاول في فراره الى ايكوسا واقفاً امام جواده وخادمه قابض على عنان الجواد ووراءهما البحر . اما راسم هذا الرسم فهو المصور فنديك المشهور الذي صوره باتقان لا مزيد عليه حتى ان واحداً من رجال الانكليز اقترح على الفرنسويين ان يبيعوه اياه فيعطيهم ثمنه مقداراً من الذهب كافياً لتغطية الرسم كله مع كبره واتساعه

فقال الملك لجيلبار بعد سكوت هنيهة . انني اعهدك يا دكتور ممن يقولون الحقيقة ولا يخشون فيها لومة لائم فقل لي بماذا تفتكر وانت تنظر الى هذا الرسم

فانحنى جيلبار وقال اتطلب جلالتكم مني ان اقول كل الحقيقة . فقال الملك نعم اطلب ذلك . فقال الدكتور اذن اسأل جلالتكم انا ايضاً بماذا شعرتم حينما نظرتم الى هذا الرسم قبل دخولي فاني رايت جلالتكم حين دخولي كثيرة الاهتمام به . فقال الملك انني حين مشاهدة الرسم قلت في نفسي : ان الملك شارل الاول لم يُقتل الا لانه حارب شعبه . و الملك جاك الثاني لم يفقد عرشه الا لانه اتعب شعبه

فقال جيلبار ان هذا الكلام كلام بليغ يامولاي . فقال الملك و بعدُ . قال جيلبار ولكنه يقتضي جواباً فماذا اجبتم عنه في نفسكم . اسدتم اذنكم عن هذا الصوت الذي

(١) شارل الاول — هو ملك من ملوك اسرة ستوارت ولد سنة ١٦٠٠ وجلس على تخت انكلترا في سنة ١٦٢٥ وقد ثار الشعب عليه لشدة ظلمه فلجأ الى ايكوسه فراراً منه فسلمه الايكوسيون الى حزب كروموبل فاعدموه في هويت هل في سنة ١٦٤٩

نطق الرسم به ام سمعتموه · فقال الملك كن مطمئناً يا جيلبار فانني لم اعزم على امر بعد

فقال جيلبار ولكن الشعب يامولاي يخاف من ان تعزموا على محاربته ومقاومته

فهز الملك راسه وقال · كلا كلا · فليكن الشعب مطمئناً لانني لا احاربه ابداً ·

ومع ذلك فكيف احارب الشعب بغير مساعدة الاجانب واسمع حكمي في الاجانب لانك قد اصبحت منا فلا اخفي عنك شيئاً · ان ملك بروسيا اقترح عليَّ ان ينجدني بمائة الف جندي لكبح جماح الشعب واعادة النظام ولكنني احذر كل الحذر طمع هذه المملكة البروسية الصغيرة التي تتطاول لان تكون كبيرة ولذلك فانها تثير عوامل الشدة في كل الجهات لتصطاد في المياه العكرة · وقد اقترحت عليَّ النمسا ان تنجدني بمائة الف جندي ايضاً ولكني لا احب ملكها ليوبولد لانه ذو وجهين ولسانين · اما شقيقي الكونت دارتوى فانه اقترح ان تساعدني اسبانيا وسردينيا وانا احذر الجيش الذي يقوده الكونت دارتوى ولا اثق به · بقيت كاترين العظيمة امبراطورة روسيا ولكن هذه اكتفت بالنصائح لانها الآن مشغولة بقتل بولونيا وافتراسها · واما نصيحتها فهي هذه « يجب ان لا يعبأ الملوك بصراخ الشعب وهياجه بل يجب ان يسيروا في طريقهم دون التفات اليه كما ان القمر يسير في طريقه دون ان يلتفت الى عواء الكلاب » ولكنه يظهر ان الكلاب في روسيا تكتفي بالعواء فقط اما كلابنا نحن فانها كلبة تعض · سلوا عن ذلك ديشوت وفاريكور

فقال جيلبار واذا كان الشعب يامولاي لا يخشى من ان تحاربوه فهو يخشى من ان تفروا من وجهه وتبرحوا فرنسا الى الحدود الاجنبية

فتردد الملك في الجواب · فقال جيلبار اذا كنت قد قلت ما لا يجب ان يقال فانني استغفر جلالتكم والتمس المعذرة منها فقد جرأني اذنكم لي في ان اقول الحقيقة بتمامها

فقال الملك نعم نعم اريد ان تقول الحقيقة بتمامها لان جميع الذين يحومون حولي و يقيمون معي يخفونها احياناً كثيرة عني حتى الملكة نفسها · لا اكتمك يا جيلبار انه خطر لنا فكر الهرب من فرنسا ولكنا عدنا فغيرنا عزمنا من وجه ما · فان الملكة في ليلة ٦ اكتوبر وهي الليلة التي جرى لنا فيها في فرساليا ما جرى الحت عليَّ بان اقسم امامها انني اذا فررت لا افر وحدي بل آخذها والولدين معي فاقسمت لها بذلك · وهذا الاجمال اصبح مانعاً لفرارنا

فقال جيلبار انني اعجب يامولاي بدقة نظركم واتمنى ان يسمع الشعب كلامكم كما

سمعته الآن فان ذلك يقلل بغض كثيرين و يدفع اخطارًا جمة

فنظر الملك في وجه جيلبار وقال · وهل تُظنهم يبغضونني الى هذا الحد · اما الاخطار التي ذكرتها فانني اعتقد انها قد مرَّت كما تمرُّ سحابة الصيف واعتقادي هذا مبني على شهادات رجال بوليسي

فهزَّ جيلبار راسه وسكت · فقال الملك ما لك لا تتكلم · فقال جيلبار · انا ليس لي بوليس ياذا الجلال لاعلم ما يعلمون ومع ذلك فانني اعلم ان الاخطار التي حدثت انما هي مقدمة صغيرة وان الاخطار الكبرى · الاخطار الهائلة · الاخطار التي تتزعزع لها اسس الارض · قادمة على الابواب

فاصفر وجه الملك لهذا القول · اما جيلبار فقد اراد زيادة التاثير على الملك اقناعًا له فقال · وانني اضرب لحالتنا مثلاً ينطبق على الحقيقة كل الانطباق · نحن الآن كجماعة قائمين على بركان مضطرم · وقد زلزلت بنا الارض لاول مرة من حركة البركان فسلمنا من هذا الزلزال ولكن بقي امامنا انفجار البركان علينا وخروج حممه وناره ودخانه الينا · فيجب ان تستعد لمحاربة هذه المواد المهلكة

فقال الملك مفكرًا تقول انه يجب محاربتها ولكن لو قلت ان نفرَّ منها لكنت أشد قربًا من الصواب

فقال جيلبار كيف الفرار يامولاي

فقال الملك لقد اسمعتك الآن رايي في مسالة المحاربة والفرار · فانني لا احارب شعبي قط على يد اجنبي · اما الفرار فانني لا اعتمد عليه الا اذا رايت حياة الملكة وولدي في خطر اما حياتي انا فلا اسأل عنها ولا اعبأ بها

فابرقت هنا عينا الدكتور جيلبار وقال · دعني يامولاي اجثو على قدميك واشكر لك عن جميع الوطنيين هذه الافكار السامية · ولكن ما الذي يحوجنا الى الاجانب لمحاربة اعدائنا في الداخل اذا كنا نستطيع ذلك بانفسنا · اجبني يامولاي انك تخشى من الثورة ورجالها اليس كذلك · فقال الملك نعم اخشى ذلك · فقال جيلبار ولكن لديَّ طريقتين لانقاذ الملك وفرنسا معًا من هذا الامر · فقال الملك اذكر لي هاتين الطريقتين ايها الدكتور تستحق شكري وشكرها معًا · فقال جيلبار اما الطريقة الاولى فهي ان تضع نفسك يامولاي في مقدمة رجال الثورة وتمشي امامهم في طريق الاصلاح · فقال الملك ولكنهم يدفعونني امامهم الى حيث لا يمكنني الوصول ويجعلونني اصنع ما اكره صنعه

فقال جيلبار كلا كلا يامولاي لانك تستعين عليهم حينئذٍ بالطريقة الثانية التي هي وضع الشكيمة لهم . فقال الملك مستغرباً وما هذه الشكيمة

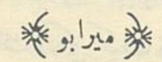
فقال جيلبار هي شكيمة الشهرة والعقل

فقال الملك وما هي

فقال جيلبار هي : ميرابو

فلما لفظ جيلبار هذه الكلمة نظر اليه الملك نظرة من لم يصدق بانه قال ما قال

الفصل السابع عشر



ميرابو

خطيب الثورة الفرنسوية واشدُّ عواملها

فعلم جيلبار من نظرة الملك انه يجب ان يستجمع قواه كلها لمباحثة الملك بحثاً شديداً فقال وهو ينظر الى الملك . نعم ميرابو يا ذا الجلال . يجب استمالة ميرابو

فالتفت الملك باسماً الى رسم شارل الاول الذي كان هناك وقال — ما كنت تقول يا شارل الاول لو انهم اشاروا عليك والارض تزلزل تحت قدميك ان تعتمد على كرومويل

فاجاب جيلبار لا ريب ان شارل كان يرفض ذلك كل الرفض ويكون مصيباً في رفضه ولكن شتان بين كرومويل وميرابو

فقال الملك ان كنت تعتقد بذلك فانا لا اعتقد به اذ ليس للخيانة درجات لدي بل هي درجة واحدة فالخائن يكون خائناً في اعتقادي سواء كانت خيانته صغيرة او كبيرة

فاجاب جيلبار باحترام نعم ولكن كرومويل وميرابو يامولاي ليسا بخائنين فرفع الملك راسه وقال كيف ذلك . فقال جيلبار وانما احدهما رجل متمرد والثاني نبيل ساخط . فسال الملك ولماذا سخط ميرابو . فاجاب جيلبار . انه ساخط من كل شيء . من ابيه الذي سجنه في قصر ايف و فنسان . من المحاكم التي حكمت عليه مرة بالاعدام . من الملك الذي لا يعبأ بعقله ومواهبه

فقال الملك بحدة ولكن مواهب الانسان انما هي استقامته

فقال جيلبار ما احسن هذا الجواب . ولكن الخبرة من سوء الحظ لا تؤيده . افكان مستقيماً اغسطس يوم اقتسم العالم مع ليبيد وانطوان ثم فتك بالاثنين لينفرد بالسلطة على

العالم . اكان مستقيماً شارلمان الذي سجن اخاه كارلومان في احد الديور ثم رغبة في التخلص من خصمه و يتيكند الذي كان رجلاً عظيماً مثله امر بقتل جميع اولاد السكسونيين الذين يتجاوز طولهم طول سيفه . اكان مستقيماً لويس الحادي عشر الذي تمرد على ابيه خلعه والذي وان كان قد خاب مسعاه جعل شارل السابع يموت من الجوع اذ كان يخشى ان ياكل طعاماً مسماً . فكان كمن فرّ من الموت الى الموت . اكان مستقيماً ريشليو الذي كان يحدث في السر مؤامرات ليكشف امرها في العلانية برهاناً على مقدرته و رغبة في الزلفى . وهلم جرا . فهل كل هؤلاء الرجال العظام كانوا مستقيمين يامولاي

فقال الملك متنهداً . ولكنك تعلم يامسيو جيلبار ان ميرابو من رجال الدوق دورليان فكيف اقدر على استمالته . فقال جيلبار ولكن الدوق دورليان قد سافر من باريز فاصبح ميرابو حراً . فقال الملك ولكن كيف تطلب مني ان اثق برجل يبيع نفسه . فقال جيلبار . لذلك طريقة وهي ان تشتريه فانك يامولاي قادر على دفع اعلى ثمن يطلبه فقال الملك ولكنه طماع لا يشبع من المال وربما طلب مليون فرنك . فقال جيلبار اذا كان يرضى بمليون فهو امر هين جداً وثق يامولاي انه يكون اشد نفعاً من اسرة بوليناك التي تاخذ ملايين

فقال الملك بلهجة العتاب : جيلبار فقال جيلبار مراجعاً نفسه عفواً يامولاي اذا كنت قد اخطأت واذا كان الملك يامرني بالسكوت فانني اسكت . فقال الملك بل تكلم فقال جيلبار قد تكلمت يامولاي . فقال الملك فلنبحث في كلامك قال جيلبار وهذا احب الامور الي لاني اعرف من شؤون ميرابو بقدر ما اعرف من شؤوني . فساله الملك هل هو صديقك . فقال ليس لي هذا الشرف يامولاي ومع ذلك فليس لميرابو الا صديق واحد وهو الكونت دي لا مارك من اصدقاء جلالة الملكة . فقال الملك اعرف ذلك وقد عيرناه بمصادقته غير مرة . فقال جيلبار بل يجب يامولاي ان تحكموا عليه بالاعدام اذا كان يترك هذه الصداقة الثمينة . فقال الملك ولكن ما الفائدة لنا من رجل وضيع النسب كالمسيو ريكيتي ميرابو

فقال جيلبار ان ميرابو ليس بوضيع النسب يامولاي لان اسرته تنتهي الى القرن الحادي عشر ومن قواعد الشرف لدى الملوك اسلاف جلالتكم ان يعتبروا الشريف شريفاً اذا كانت عائلته لا تنتهي الا الى القرن الرابع عشر فقط

اما فائدتنا منه فهي انه قادر على ايقاف تيار الشعب بسحر كلامه وقوة بيانه .

فقال الملك ولكنهم ابلغوني انه ليس بذي نفوذ الى هذا الحد فقال جيلبار ومن ابلغك ذلك يامولاي · فقال الملك رجالي الذين حولي فهز جيلبار راسه وقال ان لهؤلاء غرضاً يامولاي · فقال الملك مدهوشاً وما غرضهم من الوشاية بميرابو الي؟ فقال جيلبار غرضهم غرض اصحاب العقول الصغيرة الذين يكرهون اصحاب العقول الكبيرة فان رجلاً كميرابو اذا اصبح قريباً من عرش الملك لم يبق احد من اولئك الرجال يجترئ على ان يقرب العرش · ذلك لان ميرابو من اعاظم البشر الذين اذا دخلوا الهيا كل طردوا الباعة منها · اذا اصبح ميرابو من رجالك يا مولاي فقل قد قُضي على رجالك · قُضي على المتملقين المتزلفين الذين يعيشون بالكذب من فتات خبزك · واشرق يومئذٍ للملكية فجر جديد · فماذا يهمك يا مولاي ما يقال عن ميرابو واسرافه وشهواته · خذه اليك · ادفع ما عليه من الديون التي قدرها نصف مليون فرنك · امنحه فوقها مليوناً بل اثنين بل ثلاثة بل عشرة اذ اراد · واجعله بعد ذلك مستشارك بل وزيرك واسمع ما يقوله لك صوته القوي ثم انقل قوله الى فرنسا واوربا والعالم اجمع · ولا تؤخر ذلك يامولاي · لا تؤجله الى وقت آخر فانه ربما ملّ ميرابو الانتظار وغضب من اهمالك اياه فينصرف عنك الى اعدائك

فقال الملك ولكن الم ينصرف عني اليهم الى الآن · فقال جيلبار كلا يامولاي فانه منصرف عنك في الظاهر ولكنه يعتقد في الباطن بانك ستطلبه وتقربه منك · واعتقاده حق لان ملوك العقول يجب ان يكونوا اعواناً لملوك الامم · اتعلم يامولاي ماذا سمعوه يقول في ذلك اليوم في اثناء كلامه على الحالة السياسية الحاضرة · ان هذا الرجل يقرأ في صفحات المستقبل بدقة عجيبة

فاجاب الملك كلا لم اسمع شيئاً · فقال جيلبار لقد سمعوا ميرابو يقول في جلسة ٢١ يونيو وهو يفرك يديه اسفاً « ان هذه الطريق تؤدي الى اعدام الملك » وقال بعد ذلك بثلاثة ايام « ان هؤلاء الاعضاء لا يعلمون انهم يحفرون لغماً هائلاً تحت اقدام الملكية فانهم اذا استمروا في هذه الطريق فان الملك والملكة يقتلان والشعب يصفق طرباً فوق جثتيهما »

فاصفر وجه الملك وارتعدت فرائصه لهذه النبوءة ثم انصرف وجهه بالرغم عنه الى رسم شارل الاول · وبعد ان تردد هنيهة التفت الى جيلبار وقال · ساحادث الملكة في هذا الشان يامسيو جيلبار لعلها ترضى باستدعاء ميرابو ومحادثته اما انا فانني لا احادثه ولا اضع

يدي في يده ولو فقدت عرشي وحياتي

وحينئذٍ دخل حارس وقال للملك ان الشخص الذي ينتظره جلالة الملك قد حضر. فعلم جيلبار انه يجب عليه الخروج من حضرته فانحنى باحترام وقال وهو يتأهب للخروج. أأعتبر نفسي مغلوباً يامولاي ام يبقى لي شيء من الامل. فقال الملك قد قلت لك يامسيو جيلبار انني سافتكر بذلك واحادث الملكة بهذا الشان. فقال جيلبار الامر لجلالتكم ولكني اسالكم ان لا تخرجوا رسم شارل الاول من هذه الغرفة فانه خطيب بليغ. ثم خرج من لدن جلالته

وفي خروجه ابصر رجلاً داخلاً فتامله فاذا هو المركيز دي ففراس الذي تنبأ كاليوسترو عنه انه سيشنق في ساحة الاعتصاب في باريز

الفصل الثامن عشر

مشروع الرار

وكان المركيز دي ففراس من نبلاء ذلك الزمان. من اولئك النبلاء الذين يرعون قواعد النسل والشرف مع الملوك ومع رؤسائهم ويدفعون عنهم دفاعهم عن انفسهم

فلما مثل المركيز في حضرة الملك لاطفه جلالته وحادثه فابلغه المركيز انه مرسل الى جلالته من قبل سمو شقيقه الكونت دي بروفنس ليكون في خدمته. فشكره الملك ولما طال الحديث بينهما قال له الملك ساذكرك ايها المركيز حين سنوح الفرصة. وكان هذا القول بمثابة امر له بالخروج

فدهش المركيز لانه كان يتوقع ان يحادثه الملك في امر هام فقال الملك. اهذا كل ما تطلبه مني جلالتكم

فاجاب الملك نعم هذا كل ما اطلبه

ولكن الملك لم ينه بهذه الكلمة حتى تحرك الستار الموضوع على باب دا-لي حركة عنيفة وقال منه قائل بصوت قوي. بل بقي لجلالتكم شيء آخر. فالتفت الملك فابصر الملكة

وحينئذٍ دار بين الملك والملكة حديث طويل بشان الهرب من باريز الى الحدود الاجنبية فراراً من الموت او الاسر. فعارض جلالته في هذا المشروع فغضبت الملكة وصاحت به. الا تذكر يامولاي ان الباريزيين قادرون في كل ساعة على الهجوم علينا

وقتلانا واسرنا

فنظر اليها الملك نظرة شديدة دلت على انها خرجت عن حدود الواجب في كلامها فراجعت الملكة نفسها امام المركيز دي ففراس وقالت ومع ذلك فلماذا الح عليك ياذا الجلال فانك الآمر المطاع فينا فلك الامر في هذا المشروع

فاجابها الملك اننا نفتكر في هذا الامر ايتها السيدة اما الآن فلم يات وقته بعد

وبناء عليه خرج الماركيز دي ففراس من لدن الملك وكانت الملكة قد بعثت تطلبه ليضع خطة لفرار الملك الى مونمادي او الى بروكسل فاخفق سعيه كما تقدم

ولكن لم يخرج المركيز دي ففراس حتى عاد الغيظ والحنق الى الملكة فالتفتت الى لويس السادس عشر وقالت بنزق . آه ياسيدي انني لما علقت رسم شارل الاول في غرفتك حسبت ان منظره كافٍ لان يعظك ويجعلك تعتبر

ثم انها القت نظرها الى ما حولها فرات آثار زائر فقالت للملك . اظن ان جلالتكم قد قابلت في هذا الصباح رجلاً آخر غير المركيز ففراس

فاجاب الملك نعم قابلت الدكتور جيلبار فهزت الملكة راسها وقالت وما رايه في مشروع الهرب . فقال رايه كرايي . فقالت الملكة غضبى . ولكن اذا كان هذا الرجل يشير عليكم بالعدول عن مشروع الهرب فلا بد انه يكون قد نصح لكم بامر يقوم مقامه

فقال الملك نعم قد نصحني بان نشتري ميرابو . فسالته الملكة ولكن ما الثمن . فاجاب الثمن ٦ او ١٠ ملايين .. وبسمة منك

فظهرت حينئذٍ على وجه الملكة لوائح الافتكار والتامل الشديد . ثم قالت . ربما كانت هذه الطريقة طريقة نافعة . فقال وهل ترضين بها . فقالت لا اجيبك لا سلباً ولا ايجاباً حتى افتكر . فدعني افتكر فيها

ثم خرجت وهي تفتكر فيها

الفصل التاسع عشر

الملك والكونت دي شارني

مشروع الفرار

وما خرجت الملكة من لدن الملك حتى نادى الملك احد الحراس وامره باستدعاء

الكونت دي شارني · فذهب الحارس الى الكونت فلما رآه دي شارني ساله أأنت قادم من قبل الملكة فاجاب الحارس كلا ولكن من قبل الملك فقام الكونت مسرعاً لمقابلة مولاه

وكان الملك قد جلس الى مائدة يأكل فلما حضر الكونت امره ان يجلس حتى ينزع من الطعام لانه معاهد نفسه على ان لا يهتم بشان من الشؤون المهمة وهو يأكل فجلس الكونت على مقعد بازاء الملك فصار الملك يحادثه بشؤون عائلية

فساله عن الكونتس اندري فاجابه انها تعتذر الى جلالتكم عن عدم مقدرتها على الرجوع الى القصر · فحملق لويس السادس عشر في وجه الكونت وقال له هل آلت على ان تعيش خارج القصر فقال الكونت نعم · قال كيف ذلك وهل تفارقنا انت واياها

فاجاب الكونت كلا يامولاي · فانها هي تقيم في قصرها في شارع كوك هيرون وانا اقيم ههنا في خدمة جلالتكم

فزادت حيرة الملك ودهشته فقال له وكيف تعيشان منفصلين هذا الانفصال

فشعر الكونت دي شارني بدمعة تجول في عينيه عند سؤال الملك هذا السؤال ثم انه تنهد وقال هذه ارادة الكونتس يامولاي

ثم فرغ لويس السادس عشر من طعامه فنهض عن المائدة نهوض من اعطى نفسه المادية كل حاجاتها ثم قال لشارني اتبعني الى غرفة اخرى لاحادثك بالشؤون الهامة التي استدعيتك من اجلها

ثم ذهبا الى غرفة شغل الملك ولما دخلا اليها جلس الملك والكونت ثم أن الملك مد يده الى درج سري في مائدة الكتابة واخرج منه كتابا صغيراً مطوياً فوضعه على المائدة ووضع يده عليه ثم التفت الى الكونت وهو يتامل تامل من عزم على اطلاع جليسه على امر خطير جداً وقال له · اني اسالك ايها الكونت سؤالاً وهو · ماذا تحكم على حالتي الآن

فدهش شارني لهذا السؤال الذي لم يكن يتوقع ان يلقيه جلالته عليه وبقي مبهوتاً ساكتاً فاعاد عليه السؤال قائلاً ماذا تحكم على حالتي ايها الكونت وما كنت تصنع لو كنت مكاني · اجبني بلا تردد وصرح لي بالحقيقة بتمامها دون ان تخفي شيئاً عني

فاجاب الكونت حينئذٍ باحترام انني لا اجسر على الجواب يامولاي لانني خادم من خدمة جلالتكم اجهل كل المسائل التي يتوقف عليها الحكم

فقال الملك . اسمع يا كونت . انني رأيت في ليلتي ٥ و ٦ اكتوبر انك تركت المملكة في اثناء حادثة فرساليا وجئت الى مخفر بابي وجعلت اخاك امام باب المملكة

فقال الكونت نعم يامولاي لانني راس عائلتي وراس العائلة يجب عليه ان يحمي راس المملكة

فقال الملك فمنذ تلك الليلة عرفت مبلغ اخلاصك وغيرتك ولذلك اردت الآن ان اخصك بمهمة سرية في غاية الاهمية . ومن اجل هذا سالتك هذا السؤال وهو : ما حكمك على الحالة الحاضرة يا كونت هل انا الآن مولى باريز او اسيرها . ولو كنت مكاني فماذا كنت تصنع

فقال الكونت مع احترامي لجلالتكم يامولاي اقول اني لو كنت مكانكم وكنت قد سمعت ما سمعتموه من هتاف الشعب للافاييت وميرابو حين قدومكم من فرساليا الى باريز لمددت يميني الى لافاييت و يساري الى ميرابو استميلهما اليّ

فبهت الملك وعجب من انطباق هذا الجواب على ما اشار عليه به جيلبار فيما تقدم ثم قال للكونت كيف تقول يا كونت هذا القول مع كراهتك للاثنين

فاجاب شارني ان الكراهة شيء يامولاي والسياسة شيء آخر . ومن مصلحة جلالتكم الآن ان تفعلوا ذلك حفظاً لعرش المملكة

فقال الملك وهل ان الشعب الآن غاضب مني ومن عرشي . فقال الكونت كلا يامولاي ان الشعب الحقيقي راضٍ عنكم محب لكم . اما رأيتموه امس واليوم يهتف لكم وللمملكة اشد هتاف . اما الجماهير التي دخلت الى قصر فرساليا فما هي بالشعب الحقيقي وانما هي عصابات يثيرها دعاة الفتنة والاضطراب . فاذا رغبتم في تسكينها وكبح جماحها فاستسلموا الى الشعب الحقيقي الذي يحبكم واتخذوا لافاييت وميرابو عوناً لكم

فقال الملك هذا ما اشار عليّ به الدكتور جيلبار في هذا الصباح ايضاً . فقال شارني يسرني جداً ان تكون نصيحتي لمولاي منطبقة على نصيحة رجل عظيم الشان واسع العلم كالدكتور جيلبار

فقال لويس السادس عشر فلنفترض الآن امراً آخر وهو . اننا اردنا ان نؤلف وزارة ندخل فيها لافاييت وميرابو فاخفق سعينا فماذا يبقى عليّ

فبهت الكونت قليلاً ثم قال يبقى على جلالتكم بعد ان تكونوا قد صنعتم كل ما يجب صنعه ان تسعوا في انقاذ جلالة الملكة وولديكم

فقال لويس السادس عشر تعني ان نفرّ من باريز

فقال الكونت اعني ان تلجئوا الى قلعة حصينة على الحدود مثل متزاو ننسي او ستراسبورج لتكونوا في مامن من ثورة الثائرين

فاشرق وجه الملك عند هذا الكلام · ثم سأل شارني · وهب انني رضيت بذلك فاي قائد من قوادي تراه احق بان يدبر هذا الامر ويتولى حراستي · فأجاب شارني لا استطيع الجواب يامولاي لان جميع قوادنا ابطال امناء · قال ولكن لاتخف ان يؤثر قولك على عزمي · انظر هذا الكتاب فانني قد كتبته باسم القائد الذي ساعهد ذلك اليه · ومن ذلك تعلم انني قد عينته فلماذا تخاف من ذكر اسم القائد الذي تراه جديرًا بهذه المهمة

فقال شارني اني ارى الجنرال دي بوليه حاكم متس رجلاً امينًا وقائدًا عظيمًا يامولاي · فضحك لويس السادس عشر ثم تناول الكتاب الذي كان تحت يده وقال لشارني لقد حذوت ايها الكونت الشخص الذي وضعت ثقتي فيه · ثم اراه عنوان الكتاب

فابتلت عينا شارني بالدمع اعتزازًا وابتهاجًا

ثم قال لويس السادس عشر لشارني · اسمع يا كونت انني لا اخفي عنك شيئًا لانني عرفت مبلغ اخلاصك · لقد عرضوا عليّ جملة مشروعات للفرار من باريز · منها مشروع الفرار ليلة ٦ اكتوبر · فقال شارني قد علمت بهذا المشروع فقال لويس السادس عشر ومنها مشروع المسيو برتويل · فسكت دي شارني · فقال لويس السادس عشر مالك لا تتكلم · فقال شارني ان المسيو برتويل رجل النمسا وساعدها فاخشى يامولاي ان اسوءكم بالكلام عنه

فانحنى لويس السادس عشر صوب شارني وقال · لا تخف شيئًا يا كونت فانني لا احب النمسا اكثر مما تحبها انت

فارتعدت فرائص دي شارني لهذا الكلام · واما لويس السادس عشر فقال · كونت كونت انني لا احب النمسا اكثر مما تحبها انت بل انني اقول بصراحة انني اكره ماري تريزه التي دست السم لابي والتي ارادت التسلط على فرنسا بواسطة الارشيدوقة ماري انطوانت

ولا يخفى ان الارشيدوقة ماري انطوانت هي الملكة